التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٢٣ السنة الرابعة والأربعون رجب ١٤٣١ هـ
الثمن جنيهان



الاستنساخ البشري
وصناعة الأطفال



حادثة الإفك

علاج القلق والهموم

التوحيد الاستغفار مسلك الصالحين الأبرار

التوحيد النفس المتسامحة .. عطاء بلا حدود

التوحيد المرأة في مملكتها



بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

السلام عليكم

قطوف مصرية

لو أنه دعت الضرورة أن نصوِّر لمصر صورة، فهي أُم المعمورة.

مصر العطاء بلا مَلَل، والنصيحة بلا زلل، وهي الأمان بلا وَجَل.

ليست مصر عن النجدة والشهامة قاصرة، ولا عن عهودها غادرة، ولا في خصامها فاجرة، بل لكل من جَاملها شاكرة، وللمعروف غير ناكرة.

مصر الإيواء والربوة ذات القرار والمَعين.

مصر الخزائن التي عليها يوسف حفيظ عليم.

مصر العطاء بلا حدود، ولكم فيها ما سألتم، من فضل رب العالمين.

مصر المُتَبَوَّءُ لقوم موسى والأمان إذا حَلَلْتُم، فـ«ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين».

وهي مهجر ومولد ومدفن جماعة من الأنبياء الكرام، منهم يوسف الكريم ابن الكريم، والأسباط، وموسى الكليم، وهارون، وعيسى، عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وصفها عبد الرحمن بن عمرو بن العاص وصفًا صوابًا، فقال: "هي أطيب الأرضين ترابًا، وأبعدها خرابًا، لا تزال فيها بركة ما دام إنسان".

فاستحقت مصر بعد كل ما مضى، وصية الله التي بها قضى، وأمر بها نبينا المرتضى: «فاستوصوا بأهلها خيرًا».

لا يخالف سُنَّةَ الله في هذا البلد إلا ماكر، ولا يتجاوز الخُلق الكريم فيها إلا فاجر. فاللهم أَنْفِذْ وصيتك في أهل مصر فينا، وسالم مَنْ يُسالمنا، وعادِ مَنْ يُعادينا.

التحرير

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الاخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان .ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى .أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

الاستغفار.. مسلك الصالحين الأبرار

بقلم / الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا- صلى الله عليه وسلم- إمام المتقين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فإن الفتن المتلاحقة، والابتلاءات المتكررة، وحظ النفس والهوى والشيطان قد تؤثر في العبد، فتدفعه إلى الوقوع في الزلات، وليس أمام العباد إلا الرب الكريم، صاحب الخير والفضل والإحسان، وقد شرع (سبحانه) الاستغفار لما يمكن أن يقع فيه الناس من ذنوب و خطايا وموبقات، وهذا من عظيم رحمة الله بعباده.

ومعنى الاستغفار: طلب الغفران وهو مأخوذ من مادة (غفر) التي تدل على التغطية والستر، يُقال: غفر الله ذنبك، أي: ستره. انظر: اللسان (٢٥/٥).

وقال الراغب: (والغفران والمغفرة من الله هو: أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب ذلك بالمقال والفعال). المفردات: ص٣٦٢.

والعبد في طريقه إلى الله بحاجة ضرورية إلى التوبة والاستغفار، وطلب ذلك من العلي الغفار، وقد أمر الله به في كتابه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» (هود: ٣). وهذا أمر صريح من الرب لعموم الخلق بالاستغفار، والمراد: اطلبوا المغفرة من الله مما يقع منكم من الكفر والشرك، والمعاصي والآثام، ولكي يتحقق المطلوب لا بد من التوبة، ولذلك عطفها على الاستغفار، قال الرازي- رحمه الله-: (وهذا يدل على أنه لا سبيل إلى طلب المغفرة من عند الله إلا بإظهار التوبة، والأمر في الحقيقة كذلك لأن المذنب معرض عن طريق الحق، والمعرض المتمادي في التباعد ما لم يرجع عن ذلك الإعراض لا يمكنه التوجه إلى المقصود بالذات، فالمقصود بالذات هو التوجه إلى المطلوب، إلا أن ذلك لا يمكن إلا بالإعراض عما يضاده، فثبت أن الاستغفار مطلوب بالذات، وأن التوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار، وما كان آخرًا في الحصول كان أولاً في الطلب، فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة). مفاتيح الغيب ٤٦٩/٨.

وقد أثنى الله- تبارك وتعالى- في كتابه على المستغفرين، فقال: «الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» (آل عمران: ١٧)، وهذا مدح عظيم لمن اتصفوا بهذه الصفات وآخرها الاستغفار، قال ابن كثير رحمه الله: "دل على

فضيلة الاستغفار..." (تفسير ابن كثير ١/٤٨٨).

والحكمة في تخصيص الأسحار، كونه وقت غفلة الناس، والقيام فيه شاق، فمن قام صادقا مخلصا طامعًا في فضل ربه ومولاه، تم له المراد، ونال القرب من الله، ومن هنا كان الاستغفار من صفات المتقين، كما قال رب العالمين: «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران" ١٣٣- ١٣٥). وقد دلت الآية على أن الذي يغفر الذنوب هو الله، وأنه هو وحده الذي يملك ذلك، وأن من استغفر بعد الذنب غفر الله له ورحمه، كما قال الله تعالى: «وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ١١٠).

قال ابن جرير (رحمه الله) في معنى الآية: "يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يعمل ذنبًا وهو السوء، أو يظلم نفسه بإكسابه إياه ما يستحق به عقوبة الله، ثم يستغفر الله، يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه يجد الله غفورًا رحيمًا". (تفسير الطبري ٥/١٧٥).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستغفار بعد الذنب يطهر القلب، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا أذنب، كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صُقل قلبه..". حسنه الألباني، وانظر: صحيح سنن ابن ماجة ٢/٤١٧.

قال ابن منظور: "الصَّقْل: الجلاء، صَقَل الشيء يصقل صقلاً وصقالاً، فهو مصقول وصقيل: جلاه". لسان العرب ١١/٣٨٠. والمعنى: أن القلب يعود طاهرًا نظيفًا صالحًا بعد الاستغفار، ولذلك لابد منه للعبد، وهو لا يسلم من الذنب، والله- جلّت قدرته- حث عباده على الاستغفار ليغفر لهم، كما في الحديث القدسي: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسُكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم". (مسلم: ٢٥٥٧).

الحكمة في تخصيص الأسحار بالفضيلة كون هذا الوقت وقت غفلة الناس، والقيام فيه شاق، فمن قام صادقًا مخلصًا طامعًا في فضل ربه ومولاه، تم له المراد، ونال القرب من الله.

وقد فقه ذلك إخوة يوسف (عليه السلام)، فطلبوا الاستغفار بعد الذنب، قائلين: «يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ» (يوسف: ٩٧)، والاستغفار سبب من أسباب رحمة الله، ورفع العذاب عنهم، قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الأنفال: ٣٣)، وقد طلب نبي الله صالح (عليه السلام) من قومه الاستغفار رجاء أن تنالهم رحمة الرحمن، كما ذكر عنه ذلك القرآن الكريم، قال الله تعالى: «قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النمل: ٤٦)، والمعنى: هلا تستغفرون من له صفات الكمال والجلال والعظمة، وتطلبون منه غفران الذنوب رجاء أن يتداركم بفضله، ويتفضل عليكم من عظيم خيره، وقد وعد الله- عز وجل- عباده المستغفرين التائبين بالمتاع الحسن، وفي هذا راحة ونعيم وسعادة، قال الله تعالى: «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» (هود: ٣٠)، ومن المتاع الحسن: العزة والقوة، والغلبة والمنعة، قال الشنقيطي- رحمه الله-

: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه، والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن سعة الرزق ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى الموت. (أضواء البيان ٣/٩).

وما ذكره رحمه الله حقيقة واقعة آثار إليها القرآن الكريم فيما ذكره عن نوح عليه السلام: « فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا» (نوح: ١٠-١٢).

قال ابن كثير (رحمه الله) في معنى الآية: "إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأضر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها". تفسير ابن كثير ٤/٥٦٥.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أراد أن تجمع له الدنيا والآخرة، فعليه بطلب الغفران، كما في حديث سعد بن طارق عن أبيه، أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد أتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: "قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني"، وجمع أصابعه الأربع إلا الإبهام، "فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك". صحيح سنن ابن ماجة ٢/٣٢٧، والاستغفار من هدي الأنبياء والمرسلين، ويدل لذلك ما وقع من آدم (عليه السلام) عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وتاركة حواء في الاستغفار، كما قال عنها: « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الأعراف: ٢٣)، ولما مات القبطي بوكزة موسى (عليه السلام) توجه إلى ربه بالاستغفار، قال: « قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ » (القصص: ١٦)، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) مع عظيم قدره، وعلو شأنه، وغفران الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، كان يلازم الاستغفار، ومن ذلك ما رواه الأغر المزني- وكانت له صحبة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليغان على قلبي، وإني

> الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

لأستغفر الله في اليوم مائة مرة". (مسلم: ٢٧٠٢).

قال النووي (رحمه الله) في شرحه: "والمراد هنا ما يتغشى القلب. قال القاضي: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان من شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه". (شرح النووي على مسلم ١٧/٢٣).

وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا عنون له بقوله: "باب استغفار النبي (صلى الله عليه وسلم) في اليوم والليلة". ثم ساق تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة". (البخاري: ٦٣٠٧).

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: "كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: ربِّ اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم". سنن أبي داود: ١٥١٦. وهذا يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم)كان يكثر من الاستغفار ويحرص عليه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون ذلك عنه، وقد أرشد أمته إلى أفضل صيغ الاستغفار ومكانتها، كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،

كان النبي صلى الله عليه وسلم يختم مجالسه بالاستغفار فيقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة". (البخاري: ٦٣٠٦).

ونقل ابن حجر عن الطيبي أنه قال في هذا الحديث: "لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استُعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيسي الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور"، وذكر ابن حجر أنه قال: "جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعد به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو". فتح الباري ١١/٩٩، ١٠٠.

ويستحب الاستغفار بعد الأعمال الصالحة، كالاستغفار ثلاثًا بعد الخروج من الصلاة، والاستغفار بعد النزول من عرفات، قال الله تعالى: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (البقرة: ١٩٩)، قال ابن كثير: "كثيرًا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات، ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثًا، وفي الصحيحين أنه ندب إلى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثًا وثلاثين" (تفسير ابن كثير ١/٣٤٢).

وكان النبي (صلى الله وعليه وسلم) يختم مجالسه بالاستغفار، كما في حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأخرة: إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك". فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: "كفارة لما يكون في المجلس". (صحيح سنن أبي داود ٣/٩٢١).

وقد أمر الله نبيه وحبيبه (صلى الله عليه وسلم) في آخر حياته بالتسبيح والتحميد والاستغفار، كما قال الله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (سورة النصر)، وقد فهم عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما أن هذه السورة فيها إشارة إلى قرب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار بعد هذا الأمر، وقد روى الشعبي عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: "سبحان الله وبحمده". وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧/٤٤٧. وآخر الكلمات التي نطق بها النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته، طلب المغفرة من ربه- عز وجل- كما في حديث عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهما أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إليها ظهره يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى". (البخاري: ٤٤٤٠).

وهكذا ختم النبي (صلى الله عليه وسلم) حياته بالاستغفار، أسأل الله تبارك وتعالى أن يختم أعمالنا بالخير والبركة، وأن يعفو عن الزلات، ويغفر ما سلف وكان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الأمثال في القرآن

مثل المؤمن والكافر

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو من سورة الأعراف الآيتان السابعة والخمسون، والثامنة والخمسون، وهما: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» (الأعراف:٥٨).

المعنى الإجمالي:

فقد تضمنت الآية الثانية مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم، قال الشيخ عبد القادر شيبة الحمد في «تهذيب التفسير» (٢٠١/٥): «قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبان أثره عليه فَشُبِّه بالبلد الطيب الذي يُمرع ويُخصب ويحسن أثر المطر عليه». اهـ. «تهذيب التفسير».

المؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبان أثره عليه فشبّه بالبلد الطيب الذي يمرع ويُخصب ويحسن أثر المطر عليه.

والبلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكدًا قليلا غير صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيرًا ولا يترك شرًا (أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري ١٨٥/٢، بتصرف).

ومعنى: «كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» (الأعراف:٥٨). أي: كذلك نبين الحجج ونصرف البراهين آية بعد آية ونضرب مثلاً بعد مثل لقوم يستجيبون للحق ويعترفون بنعم الله. اهـ. «تهذيب التفسير شيبة الحمد».

المعنى التفصيلي:

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ» (الأعراف:٥٧). الرياح: جمع ريح، وهو الهواء المتحرك- وجملة: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ» (الأعراف:٥٧)، عطف على جملة: «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ» (الأعراف:٥٤)، وقد حصلت المناسبة بين آخر الجمل المعترضة وبين الجملة المعترض

بينها وبين ما عُطفت عليه بأنه لما ذكر قرب رحمته من المحسنين ذكر بعضًا من رحمته العامة وهو المطر.

فذكر إرسال الرياح هو المقصود الأهم لأنه دليل على عظم القدرة والتدبير، ولذلك جعلناه معطوفًا على جملة «يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ» (الأعراف:٥٤)، أو على جملة: «أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ» (الأعراف:٥٤)، وذكر بعض الأحوال المقارنة لإرسال الرياح يحصل منه إدماج الامتنان في الاستدلال. (التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٨/٥).

والإرسال في الريح هو بمعنى الإجراء والإطلاق والإرسال، ومنه الحديث: «فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة». (رواه البخاري ومسلم).

والريح تجمع في القليل: أرواح، وفي الكثير: رياح، لأن العين من الريح واو انقلبت في الواحد ياءً للكسر الذي قبلها، وكذلك في الجمع الكثير وصحت في القليل لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال. (المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤٧٩/٢).

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في «أيسر التفاسير» في قوله: «وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا» (الأعراف:٥٧)، وهو أي ربكم الحق الذي لا إله إلا هو وبشرًا أي مبشرات ونشرًا أي تنشر الرياح تحمل السحب الثقال ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم، وبمثل التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياءً ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه وهذا الفعل الدال على القدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام فتؤمنون بلقاء ربكم وتوقنون به فتعملون بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه.

قال الإمام الطبري ٢٧٣/٥: فمعنى الكلام إذن: والله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها، طيبًا نسيمها، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشئ بها سحابا ثقالاً، حتى إذا أقلتها، والإقلال بها حملها، كما يقال: استقل البعير بحمله وأقلّه: إذا حمله فقام به ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله، فأنزل به المطر وأخرج به من كل الثمرات. اهـ.

الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يُقبل عليها ولا ينتفع بها في خُلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيرًا ولا يترك شرًا.

قال الشيخ عبد القادر شيبة الحمد في «تهذيب التفسير» ٢٠٠/٥:

تنبيه إلى بعض الآيات الكونية التي يسوقها الله عز وجل للدلالة على أنه على كل شيء قدير، وأنه يحيي الموتى، وأنه الرزاق ذو القوة المتين، فبين عز وجل أنه هو وحده الذي يبعث الرياح ويرسلها إرسالاً كونيًا مبشرات بمجيء المطر ونزول الغيث بعدها فهي تثير السحاب ويسوقه الله إلى الأرض الجرز المرتفعة الشامخة، ويُشاهدُ هذا السحابُ الثقال الذي يزن آلاف آلاف القناطير وهو يجري في طبقات الجو حتى ينزله الله بقدر مقدر على ما يشاء من الأرض فيخرج الله به

من كل الثمرات ويحيي به الأرض بعد موتها وقوله: «كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الأعراف:٥٧): أي كذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها لمحيي الموتى، فعلى العقلاء أن يتذكروا نعمة الله عليهم وقدرته على التصرف فيهم بما يشاء والحكم فيهم بما يريد. اهـ.

قوله: «وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» (الأعراف:٥٨). قال الإمام الطبري (٢٧٤/٥): يقول تعالى ذكره: والبلد الطيب تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الماء بإذنه طيبًا ثمره في حينه ووقته، «وَالَّذِي خَبُثَ».... تربته وملحت مشاربه، «لا يخرج» نباته «إلا نكدًا». وقال ابن عباس: «فهذا مثل ضربه للمؤمن يقول: هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبث وعمله خبيث». اهـ. الطبري.

والنكد وصف من النكد- بفتح الكاف وهو مصدر نكد الشيء إذا كان غير صالح يجر على مستعمله شرًا.

والمراد بالقوم الذين يشكرون: المؤمنون: تنبيهًا على أنهم مورد التمثيل بالبلد الطيب، وأن غيرهم مورد التمثيل بالبلد الخبيث، وهذا كقوله تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ» (العنكبوت:٤٣). (التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٦/٥).

وقال الماوردي في «أمثال القرآن»: قوله: «والبلد الطيب يخرج نباته» يعني: المكان الطيب الزاكي من الأرض «يخرج نباته» يعني: ريعه في غير كد ولا عناء، «والذي خبث» يعني الأرض السبخة لا تخرج ريعها إلا في كد وعناء ومشقة، كذلك المؤمن والكافر، ضرب الله مَثَلَهُمَا، فمثل المؤمن كمثل الأرض الزكية، تخريج ريعها في غير كد ولا عناء، ومثل الكافر كالأرض السبخة لا ترج ريعها إلا في كل مشقة، كذلك الكافر عَمَله إلا في كد وشدة لغير الله. اهـ. «أمثال القرآن» للماوردي (ص١٧٧).

وفي تفصيل معنى الآية ما أخرجه البخاري (١٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّه به مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْم كَمَثَل الْغَيْث الْكَثِير أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّه به فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّه الَّذِي أُرْسِلْتُ بِه».

بمثل التدبير الإلهي في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياءً ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه.

فوائد الآيتين:

١- أن الرياح تنشر السحاب، وأنها تأتي من جهات مختلفة تتعاقب فيكون ذلك سبب امتلاء السحب بالماء، وأنها تحيي الأرض بعد موتها، وأنها تبشر الناس بهبوبها، فيدخل عليهم بها السرور. (التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٠/٥ وما بعدها).

٢- تقريع المشركين وتفنيد إشراكهم،

ويتبعه تذكير المؤمنين وإثارة اعتبارهم،لأن المشركين يعلمون أن للرياح مُصرفًا وأن للمطر مُنزلاً، غير أنهم يذهلون أو يتذاهلون عن تعيين ذلك الفاعل، ولذلك يجيئون في الكلام بأفعال نزول المطر مبنية إلى المجهول غالبًا، فيقولون: مطرنا بنَوء الثريا«المصدر السابق».

٣- عالجت الآية ٥٧ قضية البعث بضرب المثل بالآية الكونية الموجودة؛ فالرياح التي تحمل السحاب، والسحاب يساق إلى بلد ميت وينزل منه الماء فيخرج به الزرع. والأرض كانت ميتة ويحييها الله بالمطر وهكذا الإخراج بالبعث وهذه قضية دينية. (تفسير الشعراوي).

٤- مثل هذا اختلاف حال إخراج النبات من الأرض اختلافُ حال الناس الأحياء في الانتفاع برحمة هدى الله، فموقع قوله: «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه» كموقع قوله: «كذلك نخرج الموتى»، ولذلك ذُيل هذا بقوله: «كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون»، كما ذُيل ما قبله بقوله: «كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون»، كما ذُيل ما قبله بقوله: «كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون».(التحرير والتنوير لابن عاشور ٥/ ١٨٠ وما بعدها).

٥- الغرض المسوق له الكلامُ في قوله: «والبلد الطيب...» يجمع بين أمرين: العبرة بصنع الله، والموعظة بما يماثل أحواله، فالمعنى: كما أن البلد الطيب يخرج نباته سريعًا بهجًا عند نزول المطر، والبلد الخبيث لا يكاد ينبت فإن أنبت أخرج نبتًا خبيثًا لا خير فيه. «المصدر السابق».

٦- عبر هنا بالشكر؛ لأن هذه الآية موضوعها الاهتداء بالعلم والعمل والإرشاد ، بينما عبر في الآية السابقة عليها بالتذكر لأن موضوعها يتعلق بالاعتبار والاستدلال على قدرة الله - تعالى - في إحياء الموتى. (التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي).

بعض الآيات الكونية يسوقها الله عز وجل للدلالة على أنه على كل شيء قدير، وأنه يحيي الموتى، وأنه الرزاق ذو القوة المتين.

٧- (كذلك) أي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات أي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لإرسال الرسل عليهم بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب إلى المكلفين المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستئناف. (تفسير أبي السعود- أبو السعود).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ أحمد حنيش مؤسس فرع أنصار السنة بالملايقة (قرية الشيخ صفوت نور الدين رحمة الله) بمحافظة الشرقية، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء إلى أهل المتوفى، وتدعو له بالمغفرة والرحمة.



تفسير سورة الزخرف

الحلقة الثالثة

قال الله تعالى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) » (الزخرف: ٢٦- ٣٥).

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

قال تعالى: «وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيه وَقَوْمه إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إلا الَّذي فطرني فإنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كلمَةً بَاقيَةً في عَقبه لعلَّهُمْ يَرْجعُونَ»:

لَقَدْ جَعَلَ اللّه تَعَالَى لخَليله إبْرَاهيمَ عليه السلام لسَانَ صدْق في الآخرينَ، فأَجْمَعَت الأمَمُ كُلُّهَا عَلَى شَرَفه، وَاعْتَرفُوا بفَضْله، وَادْعَتْ كُلُّ أُمَّة أَنَّهَا أَوْلَى به دُونَ غَيْرهَا، فَقَالَ اللّه تَعَالَى -وَاللّه يَقُولُ الحَقَّ- « مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (آل عمران: ٦٧- ٦٨).

ثُمَّ أَعْلَمَهُمُ اللّه تَعَالَى أَنَّ إبْرَاهيمَ عليه السلام الَّذي يَزْعمُونَ أَنَّهُمْ يَنْتَسبُونَ إلَيْه، لَمْ يُقَلِّدْ آبَاءَهُ، وَإنَّمَا نَظَرَ وَاسْتَدَلَّ، وَاتَّبَعَ الأَدلَّةَ وَالْبَرَاهينَ وَالْحُجَجَ، فَإنْ كُنْتُمْ منْ أَهْل النَّظَر وَالاسْتدْلال فَاسْتَدلُّوا كَمَا اسْتَدَلَّ إبْرَاهيمُ عليه السلام، وَإنْ لَمْ تَكُونُوا منْ أَهْل النَّظَر وَالاسْتدْلال وَأَبَيْتُمْ إلَّا أَنْ تُقَلِّدُوا آبَاءَكُمْ، فَإنَّ أَحَقَّ مَنْ قَلَّدْتُمْ هُوَ إبْرَاهيمُ عليه السلام، فَقَلِّدُوهُ فيمَا كَانَ عَلَيْه منَ التَّوْحيد.

« وَإذْ قَالَ إبْرَاهيمُ لأَبيه وَقَوْمه إنَّني بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ» أَيْ منْ دُون اللّه، وَلذَلكَ قَالَ: «إلا الَّذي فَطَرَني فَإنَّهُ سَيَهْدين»، كَمَا قَالَ في الشُّعَرَاء: « قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ » (الشعراء: ٧٥- ٧٨).

وَيَبْدُو منْ حَديث إبْرَاهيمَ عليه السلام وَتَبَرُّئه ممَّا يَعْبُدُونَ، إلَّا الَّذي فَطَرَهُ، أَنَّهُمْ لَمْ

يكونوا يكفرون ويجحدون وجود الله أصلا، إنما كانوا يشركون به، ويعبدون معه سواه، فتبرأ من كل ما يعبدون، واستثنى الله وحده، ووصفه بصفته التي تستحق العبادة ابتداء، وهو أنه فطره وأنشأه، فهو الحقيق بالعبادة بحكم أنه الموجد، وقرر يقينه بهداية ربه له، بحكم أنه هو الذي فطره، فقد فطره ليهديه وهو أعلم كيف يهديه.

«وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون»:

«وجعلها كلمة باقية» يعني كلمة التوحيد، التي عبر عنها بقوله: «إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني»، فهذه الكلمة هي بمعنى: لا إله إلا الله، التي تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وتثبتها لله وحده، «وجعلها كلمة باقية في عقبه» أي في نسله وذريته، في أولاده وأحفاده، حيث وصاهم بها، وحثهم على التمسك بها، كما قال تعالى: «وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٠- ١٣٢).

وقوله: «لعلهم يرجعون» أي لعل المشركين يرجعون عن الشرك إلى التوحيد حين يرون التوحيد قائما على أيدي أهله أتباع إبراهيم عليه السلام.

ولقد كان لإبراهيم عليه السلام أكبر قسط في إقرار هذه الكلمة في الأرض، وإبلاغها إلى الأجيال من بعده، عن طريق ذريته وعقبه. ولقد قام بها من بنيه رسل، كان منهم ثلاثة من أولي العزم: موسى وعيسى ومحمد خاتم الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه-، واليوم بعد عشرات القرون يقوم في الأرض أكثر ملايين من أتباع الديانات الكبرى يدينون بكلمة التوحيد لأبيهم إبراهيم، الذي جعل هذه الكلمة باقية في عقبه، يضل منهم عنها من يضل، ولكنها هي باقية لا تضيع، ثابتة لا تتزعزع، واضحة لا يتلبس بها الباطل، «لعلهم يرجعون» يرجعون إلى الذي فطرهم فيعرفوه ويعبدوه، ويرجعون إلى الحق الواحد فيدركوه ويلزموه.

ولقد عرفت البشرية كلمة التوحيد قبل إبراهيم، ولكن هذه الكلمة لم تستقر في الأرض إلا من بعد إبراهيم.

عرفتها على لسان نوح وهود وصالح، وغيرهم من الرسل الذين لم يتصل لهم عقب يقوم على هذه الكلمة، ويعيش بها ولها، فلما عرفتها على لسان إبراهيم ظلت متصلة في أعقابه، وقام عليها من بعده رسل متصلون لا ينقطعون، حتى كان ابنه الأخير من نسل إسماعيل، وأشبه أبنائه به محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، وقائل كلمة التوحيد في صورتها الأخيرة الكاملة الشاملة، التي تجعل الحياة كلها تدور حول هذه الكلمة، وتجعل لها أثرا في كل نشاط للإنسان وكل تصور. (في ظلال القرآن(٧/ ٣٢٦و٣٢٧)).

موقف المشركين من النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن:

قوله تعالى: «بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين» كقوله تعالى: «بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر» (الأنبياء)، فلما طال عليهم العمر في النعمة، و طال عليهم الأمد، قست قلوبهم، فكفروا نعمة الله، ولم يشكروه على ما آتاهم من فضله، فحقت عليهم كلمة العذاب، ولما كان الله تعالى يحب العذر، ولا يعذب من استحق العذاب إلا بعد إقامة الحجة عليه، فقد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، فلم يحسن القوم استقباله، كما لم يحسنوا استقبال النعم الأخرى، قال تعالى: «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون»، فكفروا النعمة الدينية- وهي مجيء الرسول-كما كفروا النعمة الدنيوية، ولذلك قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ» (إبراهيم: ٢٩):

عن عطاء سمع ابن عباس رضي الله عنه قال: هم كفار أهل مكة. قال ابن كثير-رحمه الله-: فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ونعمة للناس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار.(تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٨)).

وقال تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ

«فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ» (النحل: ١١٢-١١٣).

قال ابْنُ كثير-رَحمَهُ اللهُ-: هذا مَثَلٌ أُريد به أَهْلِ مكة، فإنها كانت آمنة مُطمئنة مُستقرة، يُتخطف الناسُ من حولها، ومَنْ دخلها كان آمنا لا يخاف، فكفرتْ بأنعم الله، أي جحدت آلاءَ الله عليها، وأعظمُها بعثة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم إليهم، كما قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ» (إبراهيم: ٢٨- ٢٩)، ولهذا بدلهُمُ اللهُ بحاليهِمُ الأوَّلين خلافهما، فقال: «فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع» أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يُجبي إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقُها رغدا من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا خلافه، فدعا عليهمْ بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنةٌ أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا العلهز وهو وبرُ البعير بدمه إذا نحروه. وبُدلوا بأمنهم خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلى إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيُوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وسفال، حتى فتحها اللهُ على رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرَّسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهُم، وامتنَّ به عليهمْ في قوله: «لقدْ منَّ اللهُ على المؤمنين إذْ بعث فيهمْ رسولا من أنفسهمْ يتلو عليهمْ آياته ويُزكيهمْ ويُعلمُهُمُ الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مُبين» (آل عمران). (تفسير ابن كثير (٢/٥٨٩)).

«ولما جاءهُمُ الحقُّ قالوا هذا سحرٌ وإنا به كافرونَ»: فلمْ يكفهمْ أنْ يكفروا بالحق حتى وصفوهُ بأنَّهُ سحرٌ، ولمْ تنته سفاهتُهُمْ عند هذا الحد، حتى اعترضوا على الله في اختياره مُحمَّدا صلى الله عليه وسلم لتنزيل القرآن عليه، «وقالوا لولا نُزل هذا القرآنُ على رجُل من القريتين عظيم» يعْنُون الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمرو بن عُمير الثقفيّ من الطائف. فهُمْ يقولون إنَّ الرسالة شأنُها عظيمٌ، وينبغي لمنْ يحملها أنْ يكون عظيمًا! وهذا قولٌ حسنٌ، ولكنَّ عظمة الرجال عندهُمْ في كثرة الأموال والأولاد، وهذا خطأ، ولوْ أحسنُوا الفهمَ، وأحسنُوا تقييمَ الرِّجال، لعلمُوا أنَّ مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم هو أعظمُ الرِّجال على الإطلاق، لأنَّ عظمة الرِّجال إنَّما تكونُ برجاحة العقل، وطهارة القلب، وسعة الصَّدر، ومكارم الأخلاق، وقد اجتمعتْ هذه الصِّفاتُ كُلُّها في شخص النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولذلك أطلقوا عليه-قبل البعثة- الصادق الأمين، ولم يُطلقوا هذا الوصف على غيره، فهو صلى الله عليه وسلم عظيمٌ بالموازين الشرعيَّة، وإنْ لمْ يكُنْ عظيمًا بموازين أهل الدُّنيا التي جاء الإسلامُ ليُبْطلها. ولذلك قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: إنَّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب مُحمَّد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه فبعثه برسالته. (إسناده حسن، مسند أحمد (٦/٨٤/٣٦٠٠) وحسنه الأرناءوط).

عنْ سهْل رضي الله عنه قال: مرَّ رجُلٌ على رسُول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تقولون في هذا»؟ قالوا: حريٌّ إنْ خطب أنْ يُنكح، وإنْ شفع أنْ يُشفَّع، وإنْ قال أنْ يُستمع. قال: ثُمَّ سكت. فمرَّ رجُل من فقراء المُسلمين فقال: «ما تقولون في هذا». قالوا: حريٌّ إنْ خطب أنْ لا يُنكح، وإنْ شفع أنْ لا يُشفَّع، وإنْ قال أنْ لا يُستمع. فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ منْ ملْء الأرض مثل هذا». (صحيح البخاري ٥٠٩١).

وقدْ قال تعالى: «ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ» (الأنعام: ١٢٤)، أيْ هُو أعلمُ حيثُ يضعُ رسالتهُ، ومنْ يصلُحُ لها منْ خلقه، فكيْف يقولون: «لولا نُزل هذا القرآنُ على رجُل من القريتين عظيم (٣١) أهُمْ يقسمُون رحمت ربك»؟ أيْ ليس الأمْرُ بأيْديهمْ، وإنَّما الأمْرُ كُلُّهُ لله، «ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ» (الحج: ٧٥- ٧٦).

ثُمَّ لفت أنظارهُمْ إلى أشياء محسُوسة منْ قسمة الله واختياره، فقال سُبْحانهُ: «نحْنُ قسمْنا بيْنهُم معيشتهُمْ في الحياة الدُّنيا ورفعنا بعْضهُمْ فوق بعْض درجات»: فالله تعالى هُو الذي جعل من الناس الغنيَّ والفقير، والصَّحيح والمريض، والقويَّ والضَّعيف، والمُهنْدس والعامل، «ليتَّخذ بعْضُهُم بعْضًا سُخريًّا» فالغنيُّ مُحتاجٌ إلى الفقير، والفقيرُ مُحتاجٌ إلى الغنيِّ، والمُهنْدسُ مُحتاجٌ إلى العامل، والعاملُ مُحتاجٌ إلى المُهنْدس، وهكذا، «ذلك تقديرُ العزيز العليم» (يس: ٣٨).

وقوْلُهُ تعالى: «ورحْمتُ ربِّك خيْرٌ مِّمَّا يجْمعُون»: لوْ فُسرت الرَّحْمةُ بالنُّبُوَّة فهي خيْرٌ من الدُّنيا وما فيها، قال تعالى مُنكرا على المُشركين اعتراضهُمْ على اختيار مُحمَّد صلى الله عليه

وسلم للرِّسَالَة وَقَوْلهم: «أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ» (ص: ٨- ٩)، وَلَوْ فُسِّرَت الرَّحْمَة بِالْقُرْآن وَالإيمان فَهُمَا خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا فيها، قَال تَعَالَى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (يونس: ٥٧- ٥٨).

هوان الدُّنيا على الله:

«وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ».

يَقُولُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُوَسِّعْ عَلَى الْكَفَرَة فِي الرِّزْقِ التَّوْسعَة الَّتِي تَكُونُ فتنَة للَّذينَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ لَيْسَتْ عُنْوَانَ رضَا الله، وَلَيْسَتْ دَليلًا عَلَى أَنَّ الَّذِينَ وَسَّعَ الله عَلَيْهِمْ عَلَى الحَقِّ، وَلَوْلَا ذَلكَ لجَعَلَ للْكَفَرَة بُيُوتًا سَقْفُهَا منْ فضَّة، وَسَلَالِمُهَا منْ ذَهَب، وَقُصُورًا مُشَيَّدَةً ذَاتَ أَبْوَاب منْ فضَّة، وَفيهَا سُرُرٌ منْ فضَّة، وَمُزَخْرَفَة بالذَّهَب، وَكُلُّ ذَلكَ لهَوَان الدُّنْيَا عَلَى الله، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدلُ عنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَة مَا سَقَى كَافرًا منْهَا شَرْبَةَ مَاء». (صحيح سنن التِّرمذي: ٢٣٢٠).

عَنْ جَابر بْن عَبْد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بالسُّوق دَاخلًا منْ بَعْض الْعَاليَة وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بجَدْي أَسَكَّ مَيِّت فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بأُذُنه ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بدرْهَم». فَقَالُوا: مَا نُحبُّ أَنَّهُ لَنَا بشَيْء وَمَا نَصْنَعُ به قَالَ: «أَتُحبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ». قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فيه لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالَ: «فَوَالله للدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله منْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (صحيح مسلم ٢٩٥٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: «ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» (البقرة: ٣- ٤).

وَهَذه الْآيَةُ كَقَوْل الله تَعَالَى:

«لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ» (آل عمران: ١٩٦- ١٩٨).

وَكَقَوْله تَعَالَى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ» (آل عمران: ١٤- ١٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْآخِرَةُ عندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» فيه إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْكَافرينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخرَة نَصيبٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ» (الأحقاف ٢٠)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ» (الأعراف: ٥٠- ٥١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أَزْوَاجَهُ أَخَذَتْ ثَوْبِيَ فجئْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) فِي مَشْرُبَة لَهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصير مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسه وسَادَةٌ منْ أَدَم حَشْوُهَا ليفٌ، وَإِنَّ عنْدَ رجْلَيْه قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعنْدَ رَأْسه أُهُبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصير فِي جَنْبه فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكيكَ»؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله! إِنَّ كسْرَى وَقَيْصَرَ فيمَا هُمَا فيه، وَأَنْتَ رَسُولُ الله!. فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخرَةُ». (صحيح البخاري ٤٩١٣).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمعْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنيَة الذَّهَب وَالْفضَّة، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صحَافهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخرَة». (صحيح البخاري: ٥٤٢٦).

وللحديث بقية إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.



المرأة في مملكتها

إعداد / عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَ بعده نبينا وأسوتنا وسيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد:

الأسرة تلك اللبنةُ التي تشكل أساس المجتمع، وتتكون من أفراد تقومُ بينهم علاقاتٌ دائمة، تكادُ تكونُ أكثر العلاقات الإنسانية أهميةً، علاقات الصحبة والاقتران القائمان على الودِّ والأنس والتآلف. علاقات عميقة الجذور بعيدةُ الآماد، إنها أشبهُ ما تكون صلةً للمرء بنفسه، «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» (البقرة:١٨٧)، فضلاً عما تهيؤه هذه العلاقات من تربية البنينِ والبنات وكفالة النشء التي لا تكون إلا في ظل أمومة حانية، وأبوة كادحة، وأيُّ بيئة أزكى من هذا الجو الأسري الكريم، ذلك أنَ الإنسان تقضي فطرته أن يعيش حياة اجتماعية هانئة في إطار أسرة مترابطة متعاونة متقاربة في المشاعر والأهداف، وقد كان تشريع الإسلام للزواج نقطة البدء في تكوين الأسرة وأدائها لرسالتها وفق قواعد وأحكام وتعاليم وآداب بلغت المنزلة التي ليس بعدها منزلة في بناء الأسرة وانتظامها واستقرار حياتها، نعم، شرع الإسلام الزواج، بأن يقيم الرجل والمرأة بينهما علاقة زوجية شرعية تسودها المودة والرحمة، ويتعاونا على الأخذ والعطاء، ويتبادلا الرأي والمشورة في كل شأن من شئون الأسرة، وهذا يعين كلاً منهما على القيام بواجباته بروح من الرضا والثقة والمحبة والإيثار.

ثم إنَّ الزوجة بالنسبة للزوج مستودع سرِّه وقوته، يجدد بها نشاطه وحيويته، وهي له مستقر راحته وسكنه، والأسرة للمرأة موئلها ومملكتها يؤدي من خلالها رسالته، وتلبي نداء الفطرة في حنانها، وتحقق ذاتها وتمارس نشاطها بصفته مصدرًا للهناء ودواء لهموم الحياة وآلامها، وهي تزرع في الأطفال كل النوازع

الخيرية والقيم الكريمة.

ويجدر بنا أن نعلم أنَّ الحياة الزوجية من جهة النظر الإسلامية هي في الحقيقة حياة منضبطة، تقوم على قواعد أخلاقية، وتحكمها آداب وتوجيهات ربانية، وتحدد علاقاتها أحكام وتعاليم شرعية، وليست حياة سائبة يتصرف فيها أفراد الأسرة بما يحلو لهم من التصرفات دون شعور بالمسئولية وبلا وازع من دين، أو رادع من إيمان.

ابحث ما شئت في بطون الكتب، واقرأ ما عنَّ لك من أسفار، وانظر في جنبات العالم وآفاقه، وابحث في مجتمعاته وأعماقه، واكشف النقاب عن تاريخه، ابحث بالعقل النزيه، واقرأ بالقلب الواعي، وانظر بالعين بالفاحصة بكل عقلانية وموضوعية عن نظام أسري فلن تجد بديلاً عن النظام المحكم الذي قرره الدين الحنيف الأسرة، ولن تعثر على أروع ولا أشمل ولا أعدل من نظام الإسلام، لأنه هو النظام الفطري الإلهي المحكم في كلياته وجزئياته، ولا تستقيمُ حياة الأسرة، إلا إذا عرف كل فرد من أفرادها ماله من حقوق، وما عليه من واجبات، فيؤدي ما عليه في طواعية وحب، ويأخذ ماله في رجاء وشكر، فتتحقق السعادة للأسرة، وتبسط رداءها على أفرادها جميعًا.

قال الله تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم:٢١). وحتى يكون كذلك فلا بد من تذكير الأسرة وتثقيفها بصورة مستمرة لحمايتها وأدائها لرسالتها في المجتمع بنجاح ولن تستغني الأسرة عن هذا التذكر يومًا من الأيام، ولاسيما إذا كان هذا الذكر مستنبطًا من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فلا يكون أمام المسلم أو المسلمة مجال للانسلاخ منها، أو التقليل من شأنها، أو اعتبارها أمورًا ثانوية تقع على هامش الحياة، بل إننا نجد القرآن الكريم يصرح بأنَّ الاستجابة لأمر الله ورسوله لا يجوز أن تكون حالة مزاجية بل يستلزمها الإيمان ويقتضيها الدين.

قال الله تعالى: « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا » (الأحزاب:٣٦).

ولما كانت الزوجة بالنسبة للزوج مستودع سره وقوته، والأسرة للمرأة موئلها ومملكتها تؤدي من خلالها رسالتها، أردت أن أذكر بشيء من سلوك الزوجة الصالحة.

أختاه!!:

١- من المستحيل أن يتحقق نجاح العلاقة الزوجية إذا لم تؤد الزوجة دورًا إيجابيًا فعالاً فيها مهما كان الزوج مثاليًا ورائعًا، فانتبهي- أيتها الزوجة الصالحة- لهذا الأمر وتحملي مسئولياتك، فعليك يكون نجاحُ الأسرة أو فشلها.

٢- إذا أردت أن تصومي تطوعًا فلا تفعلي ذلك قبل أن تستأذني زوجك، فإن لم يأذن لك، فليس من حقك حينئذ الصومُ، عَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَحلُّ للْمَرْأَة أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهدٌ إلَّا بإذْنه وَلَا تَأْذَنَ في بَيْته إلَّا بإذْنه. (متفق عليه: البخاري ٥١٩٥، ومسلم ١٠٢٦).

٣- إذا لم يرغب زوجك بدخول أحد أقاربه أو أقاربك أو الجيران أو غيرهم من الناس، فلا تأذني بدخول ذلك الشخص منزلك، وذلك للحديث السابق ذكره.

٤- انتبهي باستمرار لنظافة أسنانك، وطيب رائحة فمك، وحافظي على مظهرك اللائق باستمرار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير النساء التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره». (صحيح الجامع: ٣٢٩٨).

٥- في حالة غياب زوجك عنك، كوني أكثر محافظة على نفسك ورعاية لماله وأولاده ومنزله. عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك». (صحيح الجامع: ٣٢٩٩).

٦- قابلي ما يُنفق زوجك عليك وعلى المنزل بالشكر والعرفان، لا بالجحود والنكران، قَالَ رسولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أُريتُ النَّارَ فإذَا أَكْثَر أَهْلهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّه؟

قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». (البخاري: ١/١٠٤، ومسلم ٢/٦٢٦).

٧- إياك أن تهجري فراش زوجك مهما كانت الأسباب التي تجعلك تُقدمين على ذلك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِه فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ. (متفق عليه: البخاري ٥١٩٣، ومسلم ١٤٣٦).

وفي رواية: «إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». وفي رواية: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْه إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا» (متفق عليه: البخاري ٥١٩٣، ومسلم ٤٣٦).

معنى: «فراشه» هو كناية عن الجماع، ومعنى: «فتأبى عليه» أي: تمتنع.

٨- اعلمي أنَّ لقدرة زوجك المادية حدودًا، فارضي منه باليسير، ولا تكلفيه ما لا يُطيق، فتطالبيه بما هو فوق طاقته، فتوقعيه وتوقعي الأسرة كلها في الديون، حتى لو كان زوجك من الأغنياء، فإنَّ الإسراف في اللباس والأثاث أمرٌ مكروه بغيض لا يليق الإقدام عليه بسيدة عاقلة، قال الله تعالى: « لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا » (الطلاق:٧). وقال الله تعالى: « إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا » (الإسراء:٢٧).

٩- المرأة العاقلة لا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها، ولو إلى المسجد؛ لقول الله تعالى: « وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ » (الأحزاب:٣٣) وللحديث الذي رواه البخاري (٨٧٣).

١٠- ولا تنفق شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا تنفق امرأةٌ شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه». قيل: ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا». (صحيح ابن ماجه: ١٨٥٩).

١١- احذري نشر أسرار الزوج ولا سيما المتعلقة بالفراش. عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود فقال: «لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فأرم القوم فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون. قال: فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون. (آداب الزفاف للألباني رحمه الله ص٧٢).

١٢- الزوجة الذكية تحرص على دوام العشرة بينها وبين زوجها ولا تسأله الطلاق من غير سبب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة». (إرواء الغليل ٢٠٣٥).

١٣- الزوجة الصالحة تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تؤذي امرأةٌ زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا»(سنن الترمزي ١١٧٤ وصححه الألباني).

معنى: «دخيل» بمعنى اللاجئ إلى حين، ويكون عندها ضيف ونزيل لا بد من رحيله القريب غالبًا.

١٤- والزوجة الصالحة تبيت كل ليلة وزوجها عنها راض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى». (صحيح الترغيب: ١٩٤١).

١٥- حسب الزوجة العاقلة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها دخلت الجنة». (صحيح الجامع: ٦٦٠).

هذه قواعد عامة مبنية على دلائل من الكتاب والسنة، إذا وعاها الرجل، وطبقتها المرأة، كان ذلك سبيلاً للسعادة والمحبة ويصبح البيت جنة كلما أراد الزوج أن يلجه وقف ببابه وقال: «مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ » (الكهف:٣٩)، «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ » (الفرقان:٧٤).

الحمد لله رب العالمين.

أولـئـك آبـائي فجئني بمثلهم

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فأينما حلت بالمسلم أرجله يجد اللوم في كل مكان على تقصيرنا في الرد على المشككين في سنة سيد المرسلين بوسائلهم المختلفة وطرقهم المتنوعة ومآربهم الكثيرة.

ونحن نقول لهم: وهل تناقش البديهيات إلا في زمن الغفلة؟! ولأننا لا نحيد عن طريقة التعليم والتي هي من هدي سيد المرسلين ولا نتبنى منهج الردود والمناظرات؛ فكان من شأننا في هذا الشهر الكلام في التدليل على خيرية القرون الأولى المفضلة ودفع ظنون من قال بخلاف ذلك مع كوننا نعتقد أنه من البديهيات لكنه الواقع يفرض نفسه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى عبدالله بن مسعود عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ).

التخريج:

هذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة جميعا (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة)، وأكتفي بتخريج البخاري ومسلم لضيق المقام ولكفايتهما.

١- البخاري (ط/دار طوق النجاة):

- رواه بلفظه السالف في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٤٢٩) قال: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر الحديث.

- وفي نفس الباب من حديث عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رقم (٦٤٢٨ بزيادة).

- ورواه في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد رقم (٢٦٥١) من حديث عمران بن حصين، ورقم (٢٦٥٢) من حديث عبد الله ابن مسعود السالف ذكرهما في الرقاق.

- ورواه في كتاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ رَآهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، (٣٦٥٠) من حديث عمران بن

حصين، (٣٦٥١) من حديث عبدالله بن مسعود.

- ورواه في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَوْ شَهِدْتُ بِاللَّهِ رقم (٦٦٥٨) من حديث عبدالله بن مسعود.

وفي (باب إثم مَنْ لا يَفِي بالنَّذْرِ) من حديث عمران بن حصين رقم (٦٦٩٥).

٢- ورواه الإمام مسلم (ترقيم عبدالباقي)

- باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود، وبرقم (٢٥٣٤) بمعناه عن أبي هريرة بزيادة، وبرقم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين بلفظه الذي نقله عنه البخاري.

ترجمة رجال إسناد الحديث مختصرًا:

١- عَبْدَانُ: هو عبد الله بن عثمان أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة حافظ من العاشرة (تقريب التهذيب ١/٣١٣).

٢- أبو حمزة: هو محمد بن ميمون المروزي أبو حمزة السكري، ثقة فاضل. (التقريب: ١/٦٣٤٥).

فائدة من سيرة أبي حمزة رحمه الله:

في ترجمته لأبي حمزة يقول الإمام الذهبي في السير (٧/٣٨٦): قال عباس الدوري: كان أبو حمزة من الثقات، وكان إذا مرض عنده من قد رحل إليه (زائرا لطلب العلم أو غيره)، ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية، فيأمر بالقيام به، ولم يكن يبيع السكر، وإنما سمي السكري لحلاوة كلامه..

وكان إذا مرض الرجل من جيرانه، تصدق بمثل نفقة المريض، لما صرف عنه من العلة.

وعن معاذ بن خالد قال: سمعت أبا حمزة السكري يقول: ما شبعت منذ ثلاثين سنة، إلا أن يكون لي ضيف.

وروى إبراهيم الحربي، عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: أراد جار لأبي حمزة السكري أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة.

فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجه إليه بأربعة آلاف (الثمن الذي أراد أن يبيع به)، وقال: لا تبع دارك.

لذلك لما سئل ابن المبارك عن الاتباع فقال: الاتباع ما كان عليه الحسين بن واقد وأبو حمزة. اهـ. من سير أعلام النبلاء.

فانظر رحمنا الله وإياك لقد كان سلوك هؤلاء الأماجد من سلفنا الصالح ترجمة عملية لما تعلموه من خلق نبوي كريم، فما أحوجنا إلى هذا في هذه الأزمنة المتأخرة والتي نعاني فيها أزمة أخلاقية، ما أحوجنا إلى إبراز سنة نبينا وأخلاقه كواقع عملي تتأصل أول معالمه في توحيد الله عز وجل، ثم تتجلى ثمرة ذلك وآيته في معاملاتنا وأخلاقنا وسلوكنا فتكون دعوتنا كدعوة أسلافنا علما وعملا فهما وتطبيقا، فالطريق معلومة وصلاح هذه الأمة بما صلح به أولها، وما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم دينا.

٣- الأَعْمَشُ: هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش، وقد سبق الترجمة له في العدد السابق (جمادى الآخرة) وغيره فلتراجع لأهميتها.

٤- إِبْرَاهِيمُ: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيرا. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٦٦).

فائدة: ذكر الذهبي في السير (٤/٥٢٦) في ترجمة إبراهيم النخعي قال: قال نعيم بن حماد: حدثنا جرير، عن عاصم، قال: تبعت الشعبي، فمررنا بإبراهيم، فقام له إبراهيم عن مجلسه، فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حيا، وأنت أفقه مني ميتًا، وذاك أن لك أصحابا يلزمونك، فيحيون علمك، فيقول إبراهيم: تكلمت، ولو وجدت بدًا، لم أتكلم، وإن زمانًا أكون فيه فقيهًا لزمان سوء. اهـ من سير أعلام النبلاء.

(قلت: وهذا هو السلوك العملي في الدعوة ونشر العلم الشرعي بين الناس فطريقة التأليف والكتابة المجردة عن التعليم العملي لا تكفي ولا تعارض بين السعي الداعية أن يكون له تلامذة يعلمهم ويؤدبهم، وبين تواضعه واتهامه لنفسه كما فعل إبراهيم).

٥- عَبِيدَةَ: عبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي تابعي كبير مخضرم فقيه ثبت كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله. (تقريب التهذيب ١/٤٤٠٤).

٦- عَبْدِ الله: هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

درجة هذا الحديث

إن حديثا - كما تفضلتم ورأيتم - اتفق عليه الشيخان بل ورواه باقي أصحاب الكتب الستة فضلاً عن غيرهم من المحدثين من غير الكتب الستة الكثير كما في (مسند الإمام أحمد)، و(سنن البيهقي الكبرى)، و(المعجم الأوسط للطبراني)، و(أبو نعيم في المعرفة)، و(ابن أبي عاصم في السنة)، و(شرح معاني الآثار للطحاوي) و(صحيح ابن حبان)، و(مسند أبي يعلى) وغيرهم الكثير، وما أكثرت من ذكر من رواه إلا ليعرف الناس قوة هذا الحديث فيعتقدون أحكامه يقينًا لا سيما خيرية أسلافنا رضي الله عنهم، بل وورد ما يفيده المعنى من هذه الخيرية في أحاديث أخرى كما في صحيح مسلم وغيره، ألا يمكن أن يقال فيه ما قاله الألباني رحمه الله في غير موضع من كتبه أنه: (متواتر)، وهل بعد هذه القوة يمكن أن ينكر مثل هذا الحديث إن كان جواب المنصفين بلا؟!

ونحن لا نخاطب إلا أهل الإنصاف نسألهم سؤال آخر إن كان قد ثبت عندكم هذا الحديث فماذا يفيدنا معناه؟ لا شك أنه من أقوى الأدلة على خيرية هذه القرون وأفضليتها كما هو ثابت بنص الحديث، فهل يمكن لنا بعد هذا أن نتنقص من هؤلاء الأكابر؟

إن شكر الناس ومعرفة أقدارهم والوفاء لهم من الإيمان، ونحن ننشد فيكم إيمانكم بالله عز وجل، فهلا تفرغنا لنصرة ديننا ثم الترضي على أسلافنا والدعاء لهم بدلاً من نقدهم للتنقص منهم ظلما كما هو حادث الآن من بعض المغرضين؟ ألا فلينتبه إخواننا الطيبون الذين ينخدعون بدعاوى التطور الزائفة، أو دعاوى تحكيم العقل الخادعة، أو دعاة البحث عن الحقيقة الكاذبة، ألا فلينتبهوا من الانزلاق في مثل هذه المستنقعات النتنة والتي بدت ريحها منذ أن وجدناهم قد تطاولوا بالسب والتنقص من أسلافنا الكرام، إن طفلاً صغيرًا يبحث عن مصلحته لا يمكن أن ينخدع بمثل دعاوى هؤلاء، فما بالنا ونحن نخاطب قومًا نتوسم فيهم العقل والقلب جميعًا، كيف يتسنى لهم مع رجحان العقل أن ينخدعوا بمثل هذه المهاترات؟!

فائدة: مناسبة الترجمة للباب:

في تعليقه على ترجمة البخاري للحديث أفاد ابن المنير السكندري في كتابه (المتواري على تراجم أبواب البخاري): أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر من الوقوع في فتنة الدنيا في غير ما حديث، ثم هو قد برّأ هذه القرون في هذا الحديث، فأراد البخاري أن يثبت بهذا التبويب أن هؤلاء السلف بهذه الخيرية التي وصفهم بها النبي قد نجوا من هذه الفتنة التي حذر منها صلى الله عليه وسلم.

فانظروا -رحمنا الله وإياكم- إلى عميق فهم الإمام البخاري رحمه الله، وما فتح الله عليه به، أبعد هذا الفتح والفهم فضلاً عن واسع العلم والسيرة العطرة يتهجم على مثله ويُنكر فضله وصالح جميله علينا؟!

فائدة منهجية:

وفي تعليقه على الحديث يقول الشيخ الألباني رحمه الله:

وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ المسلمين جميعاً في هذه العصور المتأخرة لا يجوز لهم أن يخالفوا سبيل المؤمنين الأولين؛ لأنهم كانوا على هدى من ربهم فهديهم منهاج يجب على المسلمين في العصر الحاضر أن يلتزموه، وأن لا يكونوا بعيدين عنه، فلا يكفي اليوم أن نقول نحن على الكتاب والسنة ثم نختلف في فهم الكتاب والسنة فالرجوع إلى السلف الصالح في فهمهم هو ضمان وأمان ا.هـ بتصرف.

وإن على رأس هؤلاء السلف أهل الثلاثة قرون الأولى فمن هم يا ترى؟

عدالة الصحابة وخيرية القرون الأولى؟

إن الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على الإسلام، وهو ما جزم به البخاري، وهو قول أحمد والجمهور من المحدثين واختاره الحافظ في النخبة، وأفاده في الفتح (٣/٧)، وعلى ما بين أهل السنة في حد الصحبة من اختلاف فإنهم لا يختلفون في اعتقاد عدالتهم جميعًا، كما قرر ذلك أئمتنا ونص عليه في كتاب «تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة» (٦٠/١) يقول:

والذي ذهب إليه جمهور السلف والخلف، أن العدالة ثابتة لجميع الصحابة رضي الله عنهم، وهي الأصل المستصحب فيهم، وهذه المسألة عظيمة الجدوى، والحاجة إليها ماسة في أصول الدين وأصول الفقه جميعًا.

ولذلك لا تجد المخالفين في هذه المسألة إلا شذوذاً لا يعتد بهم من أهل البدع ومن في قلبه مرض.

وعدالة الصحابة تعني استقامتهم على الدين والتزامهم بأوامره وانتهائهم عن نواهيه، وأنهم لا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

والأدلة على عدالة الصحابة ثابتة من القرآن والسنة النبوية وكلام من يعتد بهم من أئمة الدين والعلم من السلف الصالح ومن جاء بعدهم فضلا عن حديثنا هذا.

أيحسن بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الخيرية التي شهد لهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وشهد لهم القرآن قبل السنة في غير ما موضع، ومن ذلك قوله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحشر:٨)، أي أن الله عز وجل قد شهد لهم بالصدق، أيسعنا بعد ذلك البحث في أحوالهم؟ لا شك أن مجرد الجواب على مثل هذا قد يسيء إلى المخاطب، وهذا لا أرتضيه لنفسي ولا لغيري، فمن أين إذن أتى هؤلاء المتجرئون على الصحابة بجرأتهم؟ لا شك أن هواننا على أنفسنا وهوان ديننا علينا أهاننا في أعين هؤلاء الضعفاء!!

ويتضح من الحديث كذلك: أن الصحابة أفضل من التابعين، وأن التابعين أفضل من أتباع التابعين، وهكذا على سبيل المجموع، وكانت نظرة التابعين للصحابة تدل على هذا الفهم.

قال في فيض القدير (٦٣٨/٣): قال الحسن البصري: التابعي الكبير المُجمع على جلالته وإمامته: لقد أدركنا أقواماً -أي وهم الصحابة- أهل القرن الأول كنا في جنبهم لصوصاً، وقال: أدركنا الناس وهم ينامون مع نسائهم على وسادة واحدة عشرين سنة يبكون حتى تبتل الوسادة من دموعهم لا يشعر عيالهم بذلك، وقال: ذهبت المعارف وبقيت المناكير ومن بقي اليوم من المسلمين فهو مغموم وكان كثيراً ما ينشد:

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء

وقال الربيع بن خيثم: لو رآنا أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب.

قلت: فما بال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو سمعوا عنا في هذه الأيام؟

بشرى:

إن النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا ببشرى أزفها إليكم وهي خيرية هذه الأمة جميعًا، أولها وآخرها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». (متفق عليه). ولا تعارض بين هذا المعنى وبين حديث الباب، فخيرية الأمة لا تنتهي إلى قيام الساعة، وفضل الله واسع، فعلى المرء العمل، وربنا الكريم يدبر لنا، فاللهم دبر لنا فإننا لا نحسن التدبير، واجبر اللهم كسرنا وأصلح فساد قلوبنا، وأحسن خاتمتنا واجمعنا بحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٣٣)

٣١٣- « مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فِي مَرَضِه الَّذِي يَمُوتُ فيه لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِه، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَحَمَلَتْهُ الْمَلائِكَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَكُفِّهَا حَتَّى تُجِيزَهُ مِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح٥٧٨١) من حديث عبد الله بن الشخير مرفوعًا، قال الإمام الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو الحارث الوراق».

فهذا الحديث غريب مطلق علته أبو الحارث الوراق، قال الذهبي في «الميزان» (٢٠٢٩/٢٥٠/٤): نصر بن حماد الوراق أبو الحارث قال فيه مسلم: ذاهب الحديث، وقال صالح جزرة: لا يكتب حديثه، وقال عبد الله بن أحمد عن ابن معين: كذاب. اهـ.

٣١٤- أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمُ الاسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٣٠٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري- مرفوعًا، وقال: «هذا حديث غريب واسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث». اهـ. وشيخه عباد بن يوسف، قال الحافظ في «التقريب» (٣٩٥/١): كوفي عن أبي بردة بن أبي موسى مجهول.

٣١٥- « كَانَ أَحَبُّ الْفَاكِهَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّطَبَ وَالْبِطِّيخَ، وَكَانَ لا يَأْكُلُ الْقِثَّاءَ، إِذَا أَرَادَ أَكْلَهُ، إِلا بِالْمِلْحِ، وَكَانَ يَأْكُلُ الْخِرْبِزَ بِالتَّمْرِ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ مَرَقُ الدُّبَّاءِ ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٥٥/٤، ٣٣٦) من حديث عائشة، وفيه عباد بن كثير الثقفي البصري، قال عثمان بن سعيد الدارمي في «سؤالاته ليحيى بن معين» سؤال (٤٩٦): «سألته عن عباد بن كثير؟ قال: ليس بشيء في الحديث»، وقال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٢٧): «عباد بن كثير الثقفي البصري: سكن مكة: تركوه». وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين»: «متروك الحديث»، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٩٣/١): «متروك، وقال أحمد: روى أحاديث كذب».

٣١٦- « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ ».

الحديث لا يصح أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٦١٨٠) من حديث عباد بن كثير عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبي الزناد إلا عباد بن كثير ،وهو متروك كما بينا آنفًا، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٣٦/٤) من هذا الطريق بهذه الجمل الثلاث.

٣١٧- «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلعلْم الْوَقَار»

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٤٢/٦) من حديث عمر مرفوعًا وعلته عبد المنعم بن بشير، قال ابن حبان في «المجروحين» (١٥٨/٢): «منكر الحديث جدًا يأتي عن الثقات بما ليس من حديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال».

٣١٨- «إن المؤمن همته في الصَّلاة وَالصِّيَام وَالْعِبَادَة، وَالْمُنَافِق همته في الطَّعَام وَالشرَاب كالبهيمة».

الحديث لا أصل له: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٦٨/٣): «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٣١٩- «من أذل عالمًا بغير حقٍّ، أذله الله يومَ القيامة على رُؤُسِ الخلائق».

الحديث لا يصح: قال القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ح٣١٧): «هذا الحديث من نسخة سمعان بن مهدي» المكذوبة، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٥٣/٢٣٤/٢): سمعان بن مهدي عن أنس بن مالك لا يكاد يعرف ألصقت به نسخة مكذوبة رأيتها، قبح الله من وضعها. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٥/٣) (٣٩٦٧/٣٨٤)، وهي من رواية محمد بن مقاتل الرازي عن جعفر بن هارون الواسطي، عن سمعان.

٣٢٠- «الخادم في أمان الله عز وجل ما دام الخادم في خدمة المؤمن».

الحديث لا يصح: عزاه الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٥/٣) إلى نسخة سمعان بن مهدي. وقال: «وهي أكثر من ثلاثمائة حديث من أقبحها هذا الحديث». اهـ.

٣٢١- «للخادم شفاعة في مثل ربيعة ومضر».

الحديث لا يصح: عزاه الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٥/٣) إلى «نسخة سمعان بن مهدي» وقال: «هذا الحديث من أقبحها». اهـ.

٣٢٢- «خادم السر أفضل من العابد المجتهد»

الحديث لا يصح: عزاه الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٥/٣) إلى «نسخة سمعان بن مهدي» المكذوبة، وقال أيضا: «هذا الحديث من أقبحها».

٣٢٣- «أَحَدُكُمْ مِرْآةُ أَخِيه، فَإِنْ رَأَى بِه أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْه»

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٢٠١١) من حديث أبي هريرة وعلته يحيى بن عبيد الله، قال الحافظ في «التقريب» (٣٥٣/٢): يحيى بن عبيد الله بن موهب التيمي المدني متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع. وقال الذهبي في «الميزان» (٣٥٨١/٣٩٥/٤): روى عن أبيه عن أبي هريرة بأحاديث، وقال ابن معين: ليس بشيء».

٣٢٤- «مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُور لَهُ غُفرَ لَهُ».

الحديث لا أصل له، أورده القاري في «المصنوع» (ح٣٢٤)، قال العسقلاني: «كذب موضوع لا أصل له». اهـ.



ماذا تقول لربك غداً؟

الحلقة الثانية

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد،

نواصل بفضل الله تعالى الحديث عن هذا اللقاء الصعب يوم القيامة؛ عندما تقف بين يدي ربك ليسألك عن حقوقه وحقوق خلقه، فماذا أنت قائل لربك؟

١ - السؤال عن العهود:

- هذا الحق بينك وبين الله عز وجل من العهود وبينك وبين الناس من عهود ومواثيق تُسأل لماذا لم تف بها؟

قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٤).

- قوله تعالى: «وأوفوا بالعهد» أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال. وقوله: «إن العهد كان مسئولاً» تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» أي العهود. (أيسر التفاسير(٣/١٩٣)).

٢ - السؤال عن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم:

- من أوائل الخلق الذي يسألك الله عز وجل عنه يوم القيامة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهل قمت بحقوقه؟

- روى مسلم في صحيحه (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر خطبته يوم عرفة مخاطبا لجموع المسلمين: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

- سيسألك ربك عن نبيك محمد ماذا أجبته؟ كما قال عليه الصلاة والسلام: (إنكم مسئولون

عني، فماذا أنتم قائلون؟) فأنت مسئول بالدرجة الأولى عن نبيك وعمّا جاء به، فهل اتبعت هذا الرسول الكريم؟ هل امتثلت أمره؟ قال تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ » (النساء:٦٤). (دروس للشيخ مصطفى العدوى (١٤/٢٤)).

- السؤال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القبر: أخرج ابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه...فأخبرنا عمّا نسألك فيقول عم تسألوني فيقال له ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أشهد أنه رسول الله جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا فيقال له صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويفسح له في قبره مد بصره فذلك قول الله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» (صحيح الترغيب٣٥٦١)

٣- السؤال عن حقوق الرعية:

- عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» (البخاري (٨٩٣)، مسلم (١٨٢٩)).

- جاء في حديث أنس مثل حديث بن عمر فزاد في آخره فأعدوا للمسألة جوابا قالوا وما جوابها قال أعمال البر. أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط وسنده حسن.

وله من حديث أبي هريرة (ما من راع إلا يسأل يوم القيامة أقام أمر الله أم أضاعه)، ولابن عدي بسند صحيح عن أنس (إن الله سائل كل راع عمّا استرعاه حفظ ذلك أو ضيعه). فتح الباري(١١٢/١٣).

- الرَّاعي هو: الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه.

- قال الطيبي: في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوبا لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه.

- قال الخطابي: اشتركوا أي الإمام والرجل ومن ذكر في التسمية أي في الوصف بالراعي ومعانيهم مختلفة فرعاية الإمام الأعظم - الأمير - حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته. فتح الباري (١١٢/١٣).

- قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم: ٦).

- أخبر صلى الله عليه وسلم من حيث العموم بأن كل إنسان لابد أنه راع ولو على نفسه أو أهله، ولو على ولده أو امرأته أو ما أشبه ذلك، وإذا كان كذلك فإن عليه حفظ هذه الرعية ومراقبتها، والإتيان بكل ما فيه مصلحتها، وكذلك -أيضاً- يشعر بأنه مسئول عن هذه الرعية، وهذا السؤال إنما يكون حقاً في الدار الآخرة، فعليه أن يستحضر هذه المسئولية والسؤال إذا كان في الآخرة فإنه يكون من الله تعالى، ولابد أن يكون ذلك السؤال سؤال مناقشة عن هذه الرعية: لماذا أهملتها؟ ولماذا أضعت من اؤتمنت عليه؟ ولماذا لم تنصح لها؟ ولماذا لم تولها حق الحفظ وحق المراقبة؟ فهذه المناقشة لابد أن يعد لها جوابا، فكل سؤال يحتاج إلى جواب، والأسئلة كثيرة، والناقد بصير.(دروس للشيخ ابن جبرين (٣/١١)).

- عن معقل بن يسار المزني قال:قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة» صحيح مسلم (١٤٢).

٤-السؤال عن حقوق العباد وأهمها الدماء:

- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣). لم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار فعياذا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته. (السعدي (١٩٣)).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» صحيح البخاري (٦٨٦٤) صحيح مسلم (١٦٧٨).

- قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ) فِيهِ تَغْلِيظُ أَمْرِ الدِّمَاءِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا لِعِظَمِ أَمْرِهَا وَكَثِيرِ خَطَرِهَا. شرح النووي(١١/١٦٧).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي هَذَا، حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ (سنن الترمذي (٣٠٢٩) وصححه الألباني).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ» (سنن الترمذي (١٣٩٨) وصحيح الجامع (٥٢٤٧)).

- لَوِ اشْتَرَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (فِي دَمِ مُؤْمِنٍ) أَيْ: إِرَاقَتِهِ وَالْمُرَادُ قَتْلُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ (لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ) أَيْ: صَرَعَهُمْ فِيهَا وَقَلَبَهُمْ. مرقاة المفاتيح(٦/٢٢٦٨)

- فاحذر من الوقوع في هذه الكبيرة! القتل بأي طريقة أو مشاركة بأي وسيلة من قول ولو بنصف كلمة (اُق) أو فعل أو إشارة أو كتابة لأن الدال على الشر كفاعله.

٥- السؤال عن آداب وحقوق تنبغي على المسلم:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. صحيح مسلم (٢٥٦٩).

- النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بعيادة المريض، وهي سنة عظيمة متأكدة والله سبحانه يسأل العبد يوم القيامة عن تركه لزيارة المريض، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أن الله سبحانه يقول للعبد يوم القيامة: مرضت فلم تعدني. (شرح رياض الصالحين، حطيبة (٢/٨٤)).

- أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) فالمقصود أن الإنسان إذا مرض فالله سبحانه عنده، مع أن الله فوق سماواته، بائن من خلقه سبحانه، وهو عند هذا الإنسان بسمعه وبصره وقدرته ورحمته وإجابة الدعوة، فإذا ذهبت وجدت رحمة الله سبحانه، ووجدت ملائكة الله سبحانه، ووجدت الأجر العظيم من الله سبحانه.(شرح رياض الصالحين، حطيبة (٩/٨٣)).

- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مُعَاتِبًا لِابْنِ آدَمَ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ بِمَا قَصَّرَ فِي حَقِّ أَوْلِيَائِهِ. «يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي» أَرَادَ بِهِ مَرَضَ عَبْدِهِ، وَإِنَّمَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لِذَلِكَ الْعَبْدِ، فَنَزَّلَهُ مَنْزِلَةَ ذَاتِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ عَادَ مَرِيضًا لِلَّهِ فَكَأَنَّهُ زَارَ اللَّهَ «قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» كَيْفَ تَمْرَضُ مَكَانَ كَيْفَ أَعُودُكَ؟! قُلْنَا: عَدَلَ عَنْهُ مُعْتَذِرًا إِلَى مَا عُوتِبَ عَلَيْهِ. وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ الْمَرَضِ. «قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ

أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي»أيْ: لَوَجَدْتَ رِضَائِي (عِنْدَهُ؟)؛ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لِلْعَجْزِ وَالِانْكِسَارِ عِنْدَهُ تَعَالَى مِقْدَارًا وَاعْتِبَارًا،..(يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ) أَيْ: طَلَبْتُ مِنْكَ الطَّعَامَ. (فَلَمْ تُطْعِمْنِي؟. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) أَيْ: وَالْحَالُ أَنَّكَ تُطْعِمُ وَلَا تُطْعَمُ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ قَوِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ، (قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ) أَيِ: الشَّأْنُ.«اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ» أَيْ: ثَوَابَ إِطْعَامِهِ. (عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ) أَيْ: طَلَبْتُ مِنْكَ الْمَاءَ. (فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ). (وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) أَيْ: مُرَبِّيهِمْ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَضْلًا عَنِ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ. (قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِيهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟): فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. (مرقاة المفاتيح (١١٢٣/٣)).

٦- السؤال عن تغيير المنكر:

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَهُ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ الْعَبْدَ حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ. (سنن ابن ماجه (٤٠١٧)، صحيح الجامع (١٨١٨)).

- (إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة) عن كل شيء (حتى يسأله ما منعك إذا رأيت المنكر) هو كل ما قبحه الشرع (أن تُنكره) فمن رأى إنسانا يفعل معصية أو يوقع بمحرم محذورا ولم يُنكر عليه مع القدرة فهو مسؤول عنه في القيامة معذب عليه إن لم يدركه العفو الإلهي (فإذا لقن الله العبد حجته أي ألهمه إياها (قال يا رب رجوتك) أن تسامحني من الرجاء وهو التوقع والأمل (وفرقت) أي خفت (من الناس) أي من أذاهم قال البيهقي هذا فيمن يخاف سطوتهم ولا يستطيع دفعها عن نفسه والا فلا يقبل الله معذرته بذلك. (فيض القدير (٢٦٢/٢)).

- قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». صحيح مسلم (٤٩).

- هذه الآية الكريمة مع الحديث الشريف يتضح أن خيرية وكرامة وسعادة وتقدم الأمة الإسلامية كلها وذلك بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كل بحسب طاقته كما حدد بذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- (بيده)، والتغيير باليد لمن له سلطة. مثل سلطة الحاكم على المحكومين، وسلطة الوالد على الأولاد ما لم يكبروا، وسلطة كل راع في رعيته: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) فالمدير في إدارته، والناظر في مدرسته، والأستاذ في فصله، كل إنسان مسئول عمن استرعاه الله أمره.إذاً: يغيّر الإنسان المنكر بيده في حدود سلطته وسلطانه، أما إذا لم يكن في سلطانه فلا يتعطل الأمر بل ينتقل: (فإن لم يستطع بأن كان خارجاً عن سلطانه، أو لم يخول إليه فبلسانه) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (١١/٥٧).

لذا فإن درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتمثل في ثلاثة أقسام: القسم الأول: من عنده العلم والسلطة فهذا يغير المنكر بيده، وذلك مثل ولاة الأمور، ومثل رجال الهيئات والحسبة؛ الذين نصبهم ولي الأمر للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهؤلاء يغيرون بأيديهم بالطريقة الحكيمة المشروعة. القسم الثاني: من عنده علم وليس عنده سلطة؛ فهذا يغير بلسانه، بأن يبين للناس حكم الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ويأمر وينهى ويرشد ويعظ وينصح، هذا من الإنكار باللسان.القسم الثالث: من ليس عنده علم وليس عنده سلطة، ولكنه مسلم، فهذا عليه أن يُنكر المنكر بقلبه، بأن يكره المنكر ويُبعد نفسه عن الاجتماع بأهل المنكر؛ لئلا يؤثروا عليه. فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة (١٢٢/١).

والحمد لله رب العالمين.



الاستنساخ البشري.. وصناعة الأطفال

الحلقة الأولى

رؤية فقهية تربوية معاصرة

إعداد/ د. محمد محمود العطار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فقد أصبح الاستنساخ في العصر الحالي من القضايا المطروحة ذات الأهمية لما يعترضه من استفسارات وإشكاليات تحتاج إلى بيان وتوضيح بما يتناسب وروح العصر، لذلك لم تحظ قضية علمية خلال الأعوام الأخيرة باهتمام بالغ من قبل المؤسسات العلمية والطبية والدينية والقانونية والاجتماعية، مثل ما حظيت به قضية الاستنساخ وما أثارته من ضجة ما زال صداها مدويًا في مختلف المحافل.

ونظرًا لما لهذه القضية من آثار كبيرة وسلبيات خطيرة، إذ إنه قد يرى البعض ذلك لا يخرج عن كونه عبثًا بالنفس البشرية التي حفظها الله عن العبث، وخلقها في أحسن صورة لها، فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ» (الانفطار:٦- ٨).

ولقد قضت فطرة الله في خلقه أن يتم المحافظة على بقاء النوع عن طريق التزاوج، قال الله تعالى: «وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ» (النحل:٧٢)، كما أن الله سبحانه وتعالى كرم بني البشر واستخلفهم في عمارة الأرض، قال الله تعالى: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ» (هود:٦١).

وباستقراء أحكام الشريعة الإسلامية نجد أنها لا تقف ضد أي تطور علمي بل تسانده وتدعمه.

والأطفال هبة عظيمة من الله للإنسان، فهم زينة الحياة الدنيا، قال الله تعالى: «ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» (الكهف:٤٦).

والاعتراف بالأطفال كهبة من الله يعني قبولهم كما هم، وليسوا خاضعين لطلباتنا أو نتاجًا لإرادتنا أو أداة لتحقيق طموحاتنا.

وفي نهاية العقد الأخير من القرن العشرين يطلع علينا عالم استكلندي اسمه «روث كامبل» ليعلن للعالم كله أن العلماء قد أصبحوا يطرقون بشدة أبواب استنساخ إنسان بدون نطفة أو علقة، وبدون اتصال جنسي بين رجل وامرأة، مجرد خلية من أي ذكر كان أو أنثى لتحل محل الحيوان المنوي للرجل، وتخرج لنا بعد عملية معقدة إنسانا نسخة بالكربون من الذي أخذت منه الخلية سواء أكان رجلاً أم امرأة، والذي صنع كل هذه الزوبعة المروعة خروج النعجة «دوللي»، إلى الحياة من خلية نعجة اسكتلندية، مجرد خلية من نعجة من ضرعها زرعوها بعد سلسلة من العمليات المعقدة للغاية في رحم نعجة فنلندية.. لتخرج إلى الحياة نعجة أطلقوا عليها اسم «دوللي» صورة طبق الأصل من النعجة الاسكتلندية مانحة الخلية!

وقال العلماء: إنه ما دامت «دوللي» قد خرجت للوجود بدون اتصال بين ذكر وأنثى فإنه يمكن تطبيق ذلك علميًا على الإنسان نفسه.

والاستنساخ الحيوي ما هو إلا عمليات نقل وتصنيع وايلاج أطقم جينية داخل الجهاز الوراثي للكائن الحي، ومن ثم فهي عمليات تغيير في عناصر هذا الجهاز، وهذا لا شيء فيه، ولكن الأمر لا يعني خلقًا لأن التغيير يتم في موجود، وهو الجهاز الوراثي، ولكن الخلق إيجاد عدم، كما أن الخلق مادة تمثل النسيج الحيوي لهذا المخلوق وروح تهبه الحياة، فلو استطاع الإنسان جدلا أن يقوم بصناعة هذه الأنسجة والكتل الخلوية من خلال استنساخ أطقمها الوراثية، أفيستطيع أن يستنسخ الروح سر الحياة؟

وهذا هو التحدي الذي ورد في القرآن الكريم عن قضية الخلق: « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الإسراء:٨٥).

فالقرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ينبئنا بأنه سيأتي من يقول بأنه في استطاعته أن يخلق، ولهذا كان رد القرآن قبل أن يأتوا أنهم لن يخلقوا ذبابًا إن زعموا قدرتهم على ذلك؛ أما ما يجد من تقنيات عديدة فلا شيء فيها ما دامت تتسم بخدمة الإنسان وعدم ضرره، أما إذا تحقق فيها ضرر للإنسان فهي حرام.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والدراسات السابقة:

تعريف الاستنساخ:

نسخ الشيء- نسخًا: أزال. ويقال: نسخ الله الآية: أزال حكمها. وفي القرآن الكريم: «مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ » (البقرة:١٠٦).

ويقال: نسخ الحاكم القانون: أبطله. والكتاب: نقله في.. كتبه حرفًا بحرف.

ومنه في القرآن الكريم: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (الجاثية:٢٩)، تأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

والاستنساخ عند علماء الطب: هو إحداث الانقسام للبيضة باستخدام خلايا جسدية بعد معالجتها وإحداث دمج كهربائي بين النواة والخلية الجسدية والبييضة المنزرعة فينتج من ذلك جنين مطابق تمامًا للأصل، فإن كانت الخلية من أنثى كان الجنين أنثى بل تأخذ مثل الأصل في الشكل والهيئة لا تختلف عنها في شيء.

فالاستنساخ إذن هو: توليد كائن حي أو أكثر إما بنقل النواة من خلية جسدية إلى بيضة منزوعة النواة، وإما بتشطير بيضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات العلمية، التي اهتمت بقضية الاستنساخ، وذلك بوصفها قضية الساعة ومنها:

١- دراسة بعنوان: «الاستنساخ البشري

في الشريعة والقانون».

تشير هذه الدراسة إلى أن الاستنساخ التكاثري بكل أنواعه حرام شرعًا، كما يتضمن اعتداء على الحقوق اللازمة لشخصية الإنسان؛ لما يحمله من ضرر فادح على الحق في الحياة السليمة والسوية، وعلى التمايز القائم بين أفراد البشر من خلال الحق في الصورة وقسمات الجسم؛ ولأنه يؤدي إلى الحط من الكرامة الإنسانية، إضافة إلى أنه يؤدي إلى اعتداء واضح على قدرة الخالق في صنع خلقه.

فالسيطرة على طبيعة المولود من طريق الاستنساخ عن طريق البيضة، والخلية والحامل، يعد تدخلاً خطيرًا في إدارة الخالق من جهة، وقد يؤدي إلى إفساد الإنسانية ودمارها من جهة أخرى؛ لأن العلم لا يتوقف عند حد، وكما نستطيع التحكم بصنع إنسان ذكي وجيد نستطيع أن نفعل العكس، وفي هذا شر مستطير وهو من علامات القيامة.

ومن نتائج الدراسة:

إصدار تشريع ينص على حظر التكاثر البشري بالاستنساخ في جميع أنواعه وصوره وأشكاله، وبأية طريقة كانت؛ لأن الطريق الطبيعي للتكاثر هو مؤسسة الزواج.

إجازة التلقيح الصناعي خارج رحم المرأة بعد ثبوت إخفاق كل وسائل العلاج بتقارير طبية مؤيدة بتحاليل وصور مخبرية، وأن لا يكون إلا بين امرأة وزوجها، ومن خلال المني والبييضة، وليس عن طريق الخلية والبييضة.

إن كل اتفاق يكون محله إنجاب أطفال أو استنساخهم عن غير طريق مؤسسة الزواج، ومن غير نطفة الزواج أو بييضة المرأة وفي غير رحم الأم صاحبة البييضة، باطل قانونًا وحرام شرعًا.

حظر حفظ البييضة الملقحة عن طريق التجميد، أو بأية وسيلة من أجل استعمالها لاحقًا في عمليات الإنجاب، ومنع استخدام الأجنة بالبحث العلمي من أجل الاستكشاف أو التدخل في الأوصاف الموروثة سواء قبل الحمل أو بعده.

٢- دراسة بعنوان: «الاعتبارات الأخلاقية وراء الاستنساخ البشري».

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف حقيقة الوضع الأخلاقي للكائنات المكونة للاستنساخ، حيث إنه لو زُرع كائن مستنسخ في رحم ما (كما في النعجة دوللي)، فمن الممكن أن يواصل تناميه الكامل حتى تتم الولادة وبسبب هذا الإمكان، فإن البعض يرى أن الكائن الذي ينتج من تجارب الاستنساخ البشري العلاج مساوٍ لأي جنين بشري عادي، ويستحق الدرجة نفسها من الاحترام والحماية.

كما تناولت الدراسة أهم القضايا الأخلاقية المتعلقة بالشخص الذي سيتم استنساخ خلاياه، وحاولت الدراسة الإجابة عن العديد من الأسئلة منها هل من الصواب السعي إلى الحصول على بييض بشري بغرض البحث العلمي؟ هل سيسير الاستنساخ العلاجي إلى الاستنساخ التوالدي، ويؤدي إلى ولادة طفل مستنسخ؟

ومن أهم نتائج الدراسة:

أن الكائن المستنسخ لم يأتِ نتيجة إخصاب بيضة بنطفة، إنه نمط جديد من كينونة بيولوجية لم يسبق مطلقًا أن شوهدت في الطبيعة.

الاستنساخ موضوع جدلي يعرض جميع المشاركين في الأبحاث لمخاطر.

إن خطر الاستنساخ العلاجي لن يجعل الاستنساخ التوالدي أقل احتمالا.

٣- دراسة بعنوان: «الاستنساخ»:

تناولت هذه الدراسة قضية الاستنساخ من خلال عدة محاور، حيث تناولت في المبحث الأول حقيقة الاستنساخ من خلال توضيح مفهوم الاستنساخ في اللغة والاصطلاح، وأقسامه، حيث ينقسم الاستنساخ إلى قسمين: القسم الأول: هو

الاستنساخ الحيواني والنباتي، والثاني هو الاستنساخ البشري، وهو ثلاثة أنواع: الاستنساخ الجنيني والاستنساخ العضوي والاستنساخ الخلوي.

وتناولت في المبحث الثاني كيف تمت عملية الاستنساخ، والمبحث الثالث تناولت الحكم الشرعي في الاستنساخ.

ومن أهم نتائج الدراسة:

أن الشرع إذا أخبر عن طريق معهود للتكاثر لا يعني تحريم غيره، فطفل الأنبوب جائز عند الجمهور رغم مجيئه بطريقة غير معهودة بل بتلقيح صناعي، وليس هناك ثمة دليل يمنع إنجاب الولد بخلية جسدية إذا تعطلت الخلية المنوية.

أن التحريم للاستنساخ ليس في ذاته بل لغيره، وذلك لما تجره من المفاسد الكثيرة للقاعدة الفقهية «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، أما المصالح الفردية التي يمكن أن يستفاد منها فلا تعارض المصلحة العامة للبشر؛ لكونها هي المقدمة عند التعارض للقاعدة الفقهية «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام».

أن بعض الدول كبريطانيا سمحت بإجراء هذه التجارب رسميًا وإذا نجح الأطباء في تحقيق ذلك، فإنه يجب إعادة النظر في حكم بعض الحالات الفردية، كأخذ خلية جسدية من زوج عقيم لا يمكن الإنجاب إلا عن طريق الاستنساخ، وتوضع في رحم زوجته في أثناء قيام الزوجية.

٤- دراسة بعنوان: «الاستنساخ البشري دراسة طبية فقهية قانونية»:

تضمنت هذه الدراسة ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول منها الحقيقة العلمية الاستنساخ، من حيث تاريخه وأنواعه وتقنياته وأهم صوره في الجسم البشري، والفصل الثاني تناول الحكم الشرعي للاستنساخ البشري، والفصل الثالث تناول أهم المواقف القانونية لقضية الاستنساخ البشري.

التعليق على الدراسات السابقة:

يتبين لنا من خلال العرض السابق للدراسات السابقة، أن قضية الاستنساخ أصبحت من القضايا المهمة في مجال البحوث العلمية والدينية والقانونية والتربوية، وقد تناولت الدراسات السابقة الجانب الأخلاقي لقضية الاستنساخ، ومعرفة الجانب القانوني في هذه القضية مع توضيح رأي الدين والشرع تجاه قضية الاستنساخ.

وهناك من يؤيد الاستنساخ في الإطار الشرعي الصحيح، وهناك من يعارض الاستنساخ جملة وتفصيلاً.

وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في اهتمامها بدراسة الاستنساخ البشري من الرؤية الدينية، ولكنها تختلف عنها في أن الدراسة الحالية تعرض الاستنساخ البشري من وجهة النظر الفقهية والتربوية في آن واحد.

وستفيد الدراسات الحالية من الدراسات السابقة من الإطار النظري، ومن النتائج والتوصيات.

المبحث الثاني: الاستنساخ والأطفال

مراحل خلق الإنسان

قال الله تعالى: « ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ » (المؤمنون:١٤).

خلق الله آدم أبا البشر- عليه السلام- من خلاصة أخذت من الطين، ثم نفخ سبحانه فيه من روحه، فجعله إنسانًا، ومنحه الله الخصائص التي امتاز بها عن الكائنات الأخرى، ثم خلق الله عز وجل ذرية آدم من ماء يخرج من صلب الرجل، ثم يستقر في رحم المرأة في مكان أمين، ثم صير هذا الماء الدافق دمًا جامدًا (العلقة)، ثم جعل ذلك الدم الجامد كقطعة لحم غير واضحة المعالم، ثم صير قطعة اللحم عظامًا صلبة لتكون عمودًا للبدن، ثم كسا تلك العظام باللحم، وبعد هذه الأطوار.. نفخ فيه الروح،

فصار خلقًا آخر في أحسن صورة، فتعالى الله في قدرته وحكمته أحسن الصانعين صنعًا.

والإنسان ككل شيء في هذا الكون يوجد من ذكر وأنثى، فإذا اجتمع الذكر والأنثى جاء الولد، هذا هو قانون الأسباب، ولكن مشيئة الله تعالى تقضي في بعض الأحيان أن يلتقي الذكر والأنثى ولا يأتي الولد؛ مصداقًا لقوله تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» (الشورى:٥٠).

ولقد امتدت قدرة الله في خلق الإنسان ليشمل كل أوجه الخلق، فالأصل في الإيجاد من ذكر وأنثى، ولكن الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته خلق إنسانًا بدون ذكر أو أنثى وهو سيدنا آدم عليه السلام، وخلق من ذكر بدون أنثى وهي حواء، وخلق إنسانًا بدون ذكر وهو عيسى عليه السلام، وهذه كلها حدثت مرة واحدة إثباتًا لطلاقة القدرة- وهي لا تتكرر، لأنها فقط تلفتنا إلى طلاقة قدرة الله- سبحانه وتعالى- وأنه ليس على قدرته قيود ولا حدود.

الاستنساخ وصناعة الأطفال:

أصيب العالم بصدمة استنساخية عندما أعلن عن مولد إيف «حواء» لتكون أول طفلة مستنسخة في التاريخ الإنساني، ومازالت توابع هذه الصدمة الاستنساخية تتوالى؛ لأن هذا معناه ظهور أجيال من البشر المستنسخين، وهو افتراض واقعي علينا أن نكون على بينة من أمره، ولا سيما أن أبوينا آدم وسيدنا عيسى- عليهما السلام- ولوا بلا أبوين، فآدم ولد مخلوقًا وعيسى ولد من طريق الحمل العذري وإيف ولدت عن طريق الاستنساخ لتعد جنينًا صناعيًا لا يخضع لآلية الحمل البشري كما هو متبع؛ لأنها تعد صناعة نووية.

وكانت العالمة الفرنسية «بريجيت بواسالييه» رئيس موسسة كلونيد التجارية المهتمة بالاستنساخ البشري- منذ عام ١٩٧٧م- أعلنت في مؤتمر صحفي في ولاية فلوريدا الأمريكية يوم ٢٠٠٢/١٢/٢٧م، أنها نجحت في استنساخ الطفلة حواء، وكانت الطفلة ولدت بصورة جيدة جدًا من خلال عملية قيصرية، وتزن حوالي ٣,١ كيلو جرام، وهي من أم تبلغ من العمر ٣١ عامًا حملت طفلتها، وأن والديها أمريكيان، ولم تقدم أي دليل يثبت نجاحها في عملية الاستنساخ التي تعد سابقة علمية.

وسوف يكون من السهل في ظل التكنولوجيا الحيوية المتقدمة أن تحصل المعامل البيولوجية على أعداد لا حصر لها من الأجنة البشرية الطازجة المجمدة والمعدة للبيع، ونظرًا لأن المعمل يعرف صاحب الخلية التي حولها إلى جنين مستنسخ أو يعرف صاحبتها فهو يعرف شكل الطفل الذي سيولد من هذا الجنين، فسيصبح من الملكن عمل كالتولوجات بها المواصفات، وكل شيء حسب الطلب، وبتقدم المعرفة بخصائص الجينات، نجد أنه قد يتردد الآباء والأمهات إلى المعامل لتعديل الأجنة بحيث يأتي الأطفال الذكور والإناث حسب المواصفات، إن أطفال الغد سيكونون تحت الطلب في أي وقت ومكان.

الاستنساخ.. وأطفال الأنابيب:

إن الحصول على طفل يبدأ بلقاء جنسي بين الأبوين، تكون نتيجة أحيانًا لقاء آخر بين خلية ذكرية (حيوان منوي)، وخلية أنثوية (بييضة)، يلتحمان معًا، ثم تبدأ الخليتان المندمجتان في الانقسام والتضاعف، وتقيمان جنينًا دقيقًا ينمو داخل رحم الأم إلى أن يكتمل ويولد طفلاً يخرج إلى الحياة كغيره ممن سبقوه إلى الدنيا، وهذا هو الإخصاب الطبيعي المعروف.

ولقد ابتكر الإنسان طريقة الإخصاب الصناعي للتغلب على إصابة أحد الزوجين بالعقم أو ضعف يمنع إتمام الحمل.

وللحديث بقية إن شاء الله.







علاج القلق والهموم

الحمدُ لله، الحمدُ لله تعالى في عظمَته وملكُوته وكبريائه، وتقدَّس في مجده وعزَّته وعليَائه، حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، أفاضَ علينا من كرمه وجُوده ونعمائه، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه وأسألُه المزيدَ من فضله وآلائه.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ أرجُو بها الفوزَ يوم لقائه، وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أفضلُ رُسُله وخاتمُ أنبيائه، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه وأوليائه، والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مُبارَكًا مزيدًا إلى يوم جزائه.. أما بعد:

إعداد/ الشيخ صالح بن حميد
إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

فأُوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله - رحمكم الله ، اتَّقُوه؛ فتقواهُ خيرُ واقٍ، وفيها التنافُسُ والسِّباقُ، واعلَموا أن لكل أجَلٍ كتابًا، ولكل غائبٍ إيابًا، ولكل عملٍ جزاءً وثوابًا. وأنتم إلى ربِّكم صائرُون، وعلى طريقِ من سبَقَكم سائرُون، وعلى من لا تخفَى عليه خافيةٌ سوف تُعرَضُون، (ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: ١).

أيها المسلمون:

خلقَ الله الناسَ من نفسٍ واحدة: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) (النساء: ١)، نفسٌ واحدة تكتسبُ بحكمة الله وقُدرته أوصافًا، وتَحملُ سماتٍ، وتعيشُ أحوالاً تتنازعُها الشهواتُ والشُّبُهاتَ، والمحبُوبات والمكرُوهات، (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) (الشمس: ٧- ١٠)، (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) (البلد: ٨- ١٠).

عباد الله:

لقد اعتنَى القرآنُ الكريمُ بهذه النفسِ الإنسانيَّة غايةَ العناية؛ لأن الإنسانَ هو محلّ التكليف، وهو المقصودُ بالهدايةِ والتوجيهِ والإصلاح.

ومن شرحَ الله صدرَه للإسلام، وعمَرَ قلبَه بالإيمان اطمأنَّت نفسُه، وهدَأت سريرتُه، وتنزَّلت عليه السَّكينة، وامتلأ بالرِّضا قلبُه، (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ) (الفتح: ٤)، (تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٣٨). وفي الحديث: «الإيمانُ قيَّد الفَتْك، لا يفتكُ المُؤمن» (رواه أبو داود). والفَتْكُ: هو البَطش.

الله أكبر.. عباد الله! كم من مُسلم تكالَبَت عليه الهُموم، فتوضَّأ وتطهَّر، ثم قصَدَ إلى زاوية من بيته، أو مشَى إلى مسجده فتلا من كتاب الله ما تيسَّر له، أو صلَّى ما كُتِبَ له فانزاحَت هُمومُه، وقامَ كأنَّما نشطَ من عقال؟!

وكم من مُسلم اضطجَعَ على جنبه الأيمن في منامه، وقرأ بعضَ آيات أو تلا بعضَ أوراد. فنامَ قريرَ العين محفوظًا بحفظ الله؟!

وكم من مُسلم أصابَه قلَقٌ أو وحشةٌ فاستأنَسَ بآياتٍ من كتابِ ربِّه، فوجدَه نعمَ الأنيس وخيرَ الجليس؟!

وكم من مُسلم نالَه فقرٌ أو مسَّه جوعٌ، فوجدَ في كتابِ الله شبَعَه وغناه؟!

وكم من غنيٍّ كادَ أن يُطغيَه غناه، فأنقذَه مولاه بآياتٍ من كتابه، فانكشَفَ له السِّتار، وتذكَّر النِّعَم، وابتغَى ما عندَ الله؟!

الصالحون الطيِّبُون المُحسنون، المشَّاؤُون للمساجِد هم المُطمئنُّون بذكر الله، وهم الأقوَى والأقدرُ على مصائبِ الحياة وتقلُّباتها، لا تُعكِّرُ







التقلباتُ طُمأنينتَهم، ولا تستثيرُ المُنغصاتُ سكينتَهم.

معاشر المسلمين:

هذا هو حالُ أهل الإيمان والصلاح، بينما يتعذَّبُ ملايين البشر اليوم يلهثون وراءَ المُسكنات والمُنوِّمات، والعيادات والمُستشفيات، ويبحثون في الكتب والمؤلفات والمقالات. أقلقهم القلق، وفقدَت نفوسُهم الأمن، قلقون من الموت، يخافون من الفشل، جزِعون من الفقر، وجِلون من المرض، إلى غير ذلك مما تجري به المقاديرُ على جميع الخلائق.

القلقُ - حفظكم الله وسلَّمكم - انفعالٌ واضطرابٌ داخلَ النفس يُعاني منه الإنسانُ حين يشعُرُ بالخوف أو الخطر من حاضر أو مُستقبل.

والإنسانُ القلقُ يعيشُ حياةً مُظلمة، مع سُوءِ الظنِّ بمن حولَه وبما حولَه. تغلُبُ عليه مشاعرُ الضيق والتشاؤم والتوتُّر والاضطراب وعدم الثقة؛ بل يرى الناسَ عُدوانيين حاقدين حاسدين، حتى قالوا: «إن وراءَ مُرتكب الجريمة قلقًا دفعَه إلى اقترافها»، إما خوفٌ من موت، أو خوفٌ من جُوع، أو خوفٌ من فقر، أو خوفٌ من مرض، أو فشل، أو غير ذلك من الدوافع والهواجس التي تمتلئُ بها هذه الحياة.

هذا القلقُ المُضطربُ غلبَت عليه الدنيا، فكانت أكبرَ همِّه فزادَ قلقُه، وطالَ أرقُه، «ومن كانت الدنيا همَّه جعلَ الله فقرَه بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتب له».

ثم تذكَّر - حفظكم الله ورحمكم - هذا الدعاء: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا». أين الراحة إذا كانت الدنيا هي مُنتهى الأمل؟! وأين الطمأنينةُ إذا كانت الدنيا هي غايةُ السعي؟!

هدوءُ النفس وراحةُ البال - عباد الله - نعمةٌ عظيمةٌ لا يعرفُ قيمتَها إلا من فقدَها، ومن أصابه الأرَق أو دبَّ إليه القلق عرفَ معنى هذه النعمة، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ (الروم: ٢٣).

من فقدَ راحةَ البال تدلهمُّ أمامَه الخُطوب، وتجثُمُ على صدره الهُموم، فيتجافى عنه النوم، ويفقدُ الراحة، وتُظلمُ الدنيا في عينيه.

معاشر المسلمين:

مساكينُ أهل هذا العصر حين يدرُسُون النفسَ الإنسانيَّة مقطوعة الصِّلة بالله خالقها ومُدبِّرها، ومُقدِّر أحوالها وشؤونها، يتكلَّمون عن أثر البيئة، وعن أثر الأسرة، وعن أثر الاقتصاد، ولا يتكلمون عن الهُدى والضلال، والكُفر والإيمان، والطاعة والعبادة.

فانقلبَت عندهم المعايير، واضطربَت لديهم المقاييس، وذهبَت الفضائل، وضاعَت القيَم، وانحلَّت الأخلاق، فلم تُفِد حلولُهم، ولن تُجدي اختباراتُهم ولا مُختبراتُهم، من ضلالهم وانحرافاتهم: أن عدُّوا ضبطَ الشهوات كبتًا، والإحساسَ بالذنب تعقيدًا؛ بل المرأةُ عندهم إذا لم تتَّخذ صديقًا يُعاشرُها بالحرام فهي مريضةٌ شاذَّة، ونعوذُ بالله من انتكاس الفطر.

وفي كلمة مُنصفة: فقد انتقدَ عُقلاؤُهم هذا الانحرافَ المُهلك في مبادئ هذه الحضارة وفكرها ونظرتها للإنسان ونفس الإنسان؛ فقال قائلٌ منهم: «إن بيننا وبين الله رابطةً لا تنفصل، فإذا خضعنا لله تحقَّقت آمالُنا وأمنيَّاتُنا، وحقَّقنا أمنَنا وطُمأنينتنا».

وقال آخر: «إن أعظمَ علاج للقلق هو الإيمان».

ويقولون: «الإيمانُ والاستقامةُ كفيلان بإبعاد القلق والتوتُّر، والشفاء بإذن الله من الأمراض النفسيَّة».

ويقولون: «الصلاةُ أقربُ طريق لبثِّ الطُّمأنينة في النفوس، وبثُّ الهُدوء في الأعصاب».

نعم، عباد الله:

لا حصانةَ للنفس ولا حفظَ للمُجتمع أعظمُ وأنجعُ وأسرعُ من الإيمان بالله والسَّير على هُدى الله؛ الإيمانُ ينشُرُ الأمان، ويبعثُ الأمل، والأملُ يبعثُ السَّكينة، والسَّكينةُ تُورثُ السعادة. فلا سعادةَ بلا سَكينة، ولا سَكينةَ بلا إيمان، فالإيمانُ

هو الغذاء، وهو الدواء، وهو الضياء.

صاحبُ الإيمان راسخُ العقيدة، حسنُ العبادة، جميلُ التوكل، كثيرُ التبتُّل، عظيمُ الخُضوع، طويلُ الخُشوع، مُديمُ الذِّكر، عميقُ الفكر، مُلازمٌ للعمل الصالح، واسعُ الصدر، عظيمُ الأمل، كثيرُ التفاؤل. لا يتحسَّرُ على ماضيه باكيًا، ولا يعيش حاضرَه ساخطًا، ولا ينتظرُ مُستقبلَه خائفًا قلقًا.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: «لا تُفسد فرحَك بالقلق، ولا عقلَك بالتشاؤم، إنك لو تأمَّلتَ حالَك لوجدتَ أن الله قد أعطاك أشياء دونَ أن تطلُبها، فثِق أن الله لم يمنَع عنك حاجةً رغبتَها إلا ولك في المنع خيرٌ تجهله».

معاشر الأحبَّة:

المُؤمنُ مُؤمنٌ بأقدار الله ومقاديره، فما شاءَ الله كان، وما لم يشأ لم يكُن، (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: ٢٢، ٢٣).

والله هو الرزَّاق، ورزقُ الله لا يجُرُّه حرصُ حريص، ولا تَرُدُّه كراهيةُ كاره، والمُسلمُ يجمعُ بين التوكل والأخذ بالأسباب، (وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) (الذاريات: ٢٢، ٢٣)، «فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلَب؛ فإن نفسًا لن تموتَ حتى تستوفي رزقَها وأجلَها»؛ (رواه ابن ماجه).

المُؤمنُ يعيش وذكرُ الله شعارُه، والتوكُّل على الله دثارُه، وما تلذَّذَ المُتلذِّذُون بمثلِ ذكر الله. وعجَبًا لمن ابتُليَ بالغمِّ كيف ينسَى: (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧).

رُوي عن جعفر الصادق - رضي الله عنه ورحمه -: «عجبتُ لمن اغتمَّ ولم يفزَع إلى قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) دِعوة ذي النُّون - عليه السلام -فإني سمعتُ الله يُعقبُها بقوله: (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء: ٨٨).

وعجبتُ لمن أصابَه الحزَن ولم يفزَع إلى قوله تعالى: (حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) (آل عمران: ١٧٣)، فإني سمعتُ الله يقول: (فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ) (آل عمران: ١٧٤).







وعجبتُ لمن أحاطَت به المكائد ولم يفزَع إلى قوله تعالى: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) (غافر: ٤٤)، فإني سمعتُ الله يُعقبُها بقوله: (فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟) (غافر: ٤٥)».

ويُصدِّقُ ذلك ويُجلِّيه: قولُ نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم -: «دعوةُ ذي النُّون إذ دَعا ربَّه وهو في بطنِ الحُوت: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، لم يدعُ بها رجلٌ مُسلمٌ في شَيءٍ قطُّ إلا استُجيبَ له» (أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي في «جامعه»).

ومن الدَّقيق اللطيف - عباد الله -: ارتباطُ دعوات المكرُوب بتحقيق التوحيد؛ يقولُ - عليه الصلاة والسلام -: «اللهم رحمتَك أرجُو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصلِح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت» (رواه أبو داود).

وقال لأسماء بنت عُميس: «ألا أُعلِّمُك كلمات تقوليهنَّ عند الكَرب؟ اللهُ ربِّي لا أُشرِكُ به شيئًا»؛ (رواه أبو داود).

معاشر المُسلمين: الالتجاءُ إلى الله والتوكُّل عليه وحُسن الظنِّ به من أعظم مُفرِّجات الهُموم، وكاشفات الكُروب، وطاردات القَلَق، (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٣)، (وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (هود: ١٢٣).

والتعلُّقُ بالله ودُعاؤه من أعظم السُّبُل يُعفي القلق؛ كيف وقد كان نبيُّكم محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - إذا أكربَه أمرٌ قال: «يا حيُّ يا قيوم،







برحمتك أستغيث»؛ (رواه الترمذي).

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مؤمن يُصيبه همٌّ أو غمٌّ أو حَزَن فيقول: اللهم إني عبدُك، ابنُ عبدك، ابنُ أمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكمُك، عدلٌ في قضاؤك، أسألُك اللهم بكل اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآن الكريمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حَزني، وذهابَ همِّ وغمِّي؛ إلا فرَّج الله عنه»؛ (رواه أحمد في «مسنده»).

وبعد، عباد الله:

فيجمعُ لكم ذلك كلَّه كتابُ الله؛ فهو الشفاءُ لما في الصدور، والشفاءُ لكل الأمراض البدنيَّة والنفسيَّة، والظاهرة والباطنة، (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء: ٨٢)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٥٧)، بتلاوته تطمئنُّ القلوبُ فلا اضطراب، وبالاستمساك به تطمئنُّ فلا قلق، وبتدبُّره تطمئنُّ فلا وسوسة.

معاشر المسلمين:

أما ما كان من القلق حافزًا إلى الخير، وباعثًا على العمل، فهو قلقٌ محمود؛ بل هو خيرٌ وفضلٌ ونعمةٌ، اقرأوا إن شئتم: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون: ٦٠، ٦١)، فالمحاسبةُ والقلقُ خشيةَ التقصير من صفات المؤمنين المُخلصين. أما عدمُ الاكتراث والمُبالاة فمن صفات المُنافقين.

يقولُ الحسنُ - رحمه الله -: «المُؤمنُ أحسنُ الناس أعمالاً، وأشدُّ الناس خوفًا؛ فالمؤمنُ لا يزدادُ صلاحًا وبرًّا وعبادةً إلا ازدادَ خوفًا ويقول: لا أنجُو، إنه يخشَى عدمَ القبول».

المؤمنُ لا يخافُ إلا الله، يخافُ أن يكون فرَّط في حقِّه، ويخافُ أن يكون قد اعتدَى على خلقه، كما قال أبو الأنبياء - عليه السلام -: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنعام: ٨١).

ألا فاتَّقوا الله - رحمكم الله -، واعمَلوا مُشفقين، وجِدُّوا حذرين، واستحضرُوا مقالةَ عباده المُؤمنين: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) (الطور: ٢٦).

هذا، وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة: نبيِّكم محمد رسول الله، فيومُكم هذا هو سيِّدُ الأيام، ونبيُّنا محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - هو سيِّدُ الأنام، فللصلاة عليه في هذا اليوم قُربةٌ ليسَت لغيره، وكلُّ خيرٍ نالَتْه هذه الأمة في الدنيا والآخرة فإنما نالَتْه على يده - عليه الصلاة والسلام -.

فجمعَ الله لأمَّته به خيرَي الدنيا والآخرة، وقد أمرَكم بالصلاة والسلام عليه ربُّكم - عزَّ شأنُه - في مُحكَم تنزيله، فقال - وهو الصادقُ في قَوله - قولاً كريمًا: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك سيِّدنا ونبيِّنا محمد الحبيب المُصطفى، والنبي المُجتبى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وجُودك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واخذُل الطغاةَ والملاحدةَ وسائرَ أعداء المِلَّة والدين.

اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلِح أئمَّتنا وولاةَ أمورنا، واجعَل اللهم ولايتَنا فيمن خافَك واتَّقاك، واتَّبَع رضاك يا رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الحياة الحقيقية في الطاعة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه-؛ قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والَذي نفس محمَد بيده لتنفقنَ كنوزهما في سبيل الله» (صحيح البخاري).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم». (سنن النسائي).

حكم ومواعظ

احذروا الانغماس في الدنيا

قال الفضيل بن عياض، لأبي تراب: «يا أبا تراب؛ الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد» (الزهد الكبير للبيهقي).

وصايا لطلاب العلم

احذر أن يكون شيخك الكتاب

قال العلامة بكر أبو زيد: «فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده». (حلية طالب العلم).

خلق سيء فاحذره

قال قتادة في قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) (لقمان/ ١٨) قال: هو الإعراض، أن يكلمك الرجل وأنت معرض عنه». (التواضع لابن أبي الدنيا).

خلق حسن فالزمه

سُئل الفضيل بن عياض- رحمه الله عن التَواضع؟ فقال: «يخضع للحقِّ، وينقاد له ويقبله ممَن قاله، ولو سمعه من صبيّ قبله، ولو سمعه من أجهل النَاس قبله» (مدارج السالكين).

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

آثار استغفار الولد لأبيه

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله- عز وجل- ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه، فيقول: باستغفار ولدك لك» (السلسلة الصحيحة للألباني).

من فضائل الصحابة

عن أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن بن عليّ على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما» (صحيح البخاري).

من علامات الساعة

تكليم الحيوان والجماد الإنس

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» (صحيح سنن الترمذي للألباني).

من أقوال السلف

عن الأوزاعي قال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله (قلت: يعني مع الإمام). (أصول الاعتقاد للالكائي).

من أخبار الفصحاء

قال معاوية لصحار بن العباس العبدي: يا أزرق. قال: البازي أزرق. قال: يا أحمر. قال: الذهب أحمر. قال: ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال: شيء يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد. قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: أن نقول فلا نخطئ، ونجيب فلا نبطئ. (العقد الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

« إن في الجنة نهرا يقال له: رجب، (ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل)، من صام من رجب يوما واحدا، سقاه الله من ذلك النهر «. باطل.

وقال الحافظ ابن حجر: لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة.

(السلسلة الضعيفة للألباني).

الحلقة ٧١

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من المؤكد أننا لن ننظر في كل المسائل الفقهية الخلافية، ونحاول أن نرجح فيها باستخدام قرائن السياق كتطبيق عملي على ما أصلنا له نظريًا على مدى الحلقات السابقة، فإن هذا أمر يطول.

وإنما نحاول أن نتخير بعض المسائل التي اشتهر فيها الخلاف، واشتدت الحاجة إليها، ونبين كيفية استخدام قرائن السياق بمفهومها الواسع الشامل في الترجيح.

وكما نعلم فإن الأصل أن الاختيار ينبغي أن يكون حسب ترتيب الأبواب الفقهية، لكن في مقالات المجلة أحرص على اختيار الموضوعات بحسب شدة حاجة الناس إليها من وجهة نظري، وباعتبار كثرة الأسئلة التي تدور حولها، مع مراعاة أن المجلة تخرج مرة شهريًا، وكل موضوع يعتبر موضوعًا مستقلاً، فنحاول أن نراعي ما يحتاج إليه القارئ، وتكون الحاجة إليه ملحة، ولهذا لم نسر حسب الترتيب المتعارف عليه، وإنما الاختيار يكون حسب الحاجة إلى الموضوع، ولا يخضع للترتيب المنهجي للأبواب الفقهية.

ونستأنف كلامنا عن حكم دخول الحائض المسجد والمكث فيه، ذكرنا في العدد السابق: ما يحرم على الحائض بإجماع أهل العلم، وأقوال العلماء في دخول الحائض المسجد، واستعرضنا أدلة المانعين وأدلة المجوزين، وتوجيه تلك الأدلة.

وبقي أن ننظر في القرائن المستخدمة، والترجيح.

إعداد/ متولي البراجيلي

أولا: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ (النساء: ٤٣) ستكون هذه الآية هي الأصل في استخدامنا للقرائن بأنواعها.

ثانيا: القرائن المستخدمة:

١- قرائن لفظية متصلة: في قوله تعالى: (لا تقربوا الصلاة): مجاز بالحذف، أي: لا تقربوا مواطن الصلاة، فحذف المضاف وجاء بالمضاف إليه، والمجاز بالحذف واقع في القرآن، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية لكن لا يقال به، إلا عند عدم استطاعتنا حمل الكلام على حقيقته، كقوله تعالى: (واسأل القرية)، فهنا يقال بالمجاز، لأن القرى لا تسأل، وإنما من يسأل هم أهلها، ففي الآية: (لا تقربوا الصلاة) الحمل على عدم الصلاة هو الأصل

٢- قوله تعالى: حتى تعلموا ما تقولون، يرجح أن المقصود هو الصلاة ذاتها؛ لأن السكران يكون عقله غائبًا فلا يعي شيئًا من صلاته، وهذا يؤيده أن الصحابة رضي

الله عنهم كانوا في هذه المرحلة من مراحل تحريم الخمر، قبل تحريمه نهائيا، لا يشربون الخمر إلا بعد صلاة العشاء. ففهموا من الآية عدم صلاتهم وهم سكارى (وعلى العموم فالآية بها نزاع بين المجوزين والمانعين).

٢- قرائن لفظية منفصلة:

أ- حديث أم عطية رضي الله عنها وفيه:... «ويعتزل الحُيَّض المصلى». فهناك رواية عند مسلم - يرحمه الله- فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ترجح أن الاعتزال للحائض في صلاة العيد ليس هو مصلى العيد وإنما صلاة العيد.

ب- حديث عائشة رضي الله عنها وفيه:... «إن حيضتك ليست بيدك». يعنى يدك لن تلوث المسجد، وبالتالي إذا أمنت تلويث المسجد فلا حرج عليها، وعلى المعنى الثاني: ليست بيدك: أي لا دخل لك في ذلك، وهذا من قدر الله على المرأة، ولا تستطيع أن تدفعه، والله تعالى قال في كتابه الكريم: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (البقرة: ٢٨٦).

ج- حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفيه:... المؤمن لا ينجس.

٣- قرائن عامة:

أ- الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة، كما هو مقرر عند أهل العلم وحديث (إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب) حديث ضعيف، وبالتالي سقط به الاستدلال لمن استدل به على منع الحائض من دخول المسجد.

ب- الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال: وذلك في تنازع أهل العلم في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) هل الصلاة: هي الصلاة ذاتها، أم هي مواطن الصلاة (أي: المساجد).

(فائدة: هذه القاعدة ليست على إطلاقها، لأن كل أحد يستطيع أن يأتي باحتمال بشكل أو بآخر، ويرد الأدلة باحتمالات عقلانية أو غيرها. إنما المقصود: الاحتمال المعتبر الذي احتفت به القرائن وله وجه عند أهل العلم).

ج- (استصحاب البراءة الأصلية) طالما لا يوجد دليل صحيح على المنع، وفي منع دخول الحائض المسجد لم نجد دليلا صريحا صحيحا على المنع، وبالتالي يبقى الحكم على البراءة الأصلية، وهو جواز دخولها المسجد.

د- دلالة المفهوم: في حديث عائشة رضي الله عنها: أن وليدة سوداء... وفيه: فكان لها خباء في المسجد. فلا شك أن هذه المرأة كانت تحيض ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أيام حيضها من الإقامة في المسجد، (ولو أجيب عن هذا: بأن هذه حالة ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها. فيلزم استعمال ذات الضرورة في دخول الحائض المسجد لحضور درس علم أو نحو ذلك).

هـ- (الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه) فإذا لم تجمع مرويات الحديث الواردة في الباب الواحد، فقد يخفى عنك الحكم الصحيح أو الراجح في المسألة، وهذا يتضح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة سوداء كانت تقم بالمسجد أو شاب. فمن نظر إلى هذه الرواية بمفردها، قال بعدم الاحتجاج بالحديث، لأنه ورد على الشك هل هو امرأة أم شاب، لكن بالنظر إلى

> الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة، كما هو مقرر عند أهل العلم وحديث (إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب) حديث ضعيف، وبالتالي سقط به الاستدلال لمن استدل به على منع الحائض من دخول المسجد.

الروايات الأخرى للحديث، نجد أنها وردت بالجزم دون الشك: أن امرأة سوداء.

و- (قياس الأولى): وذلك لما صح أن الصحابة كانوا إذا أجنبوا وأرادوا الدخول إلى المسجد توضئوا وضوء الصلاة فإن جاز هذا للجنب الذي أمره بيده في إزالته جنابته، فمن باب قياس الأولى أن الحائض التي أمرها ليس بيدها يجوز لها دخول المسجد.

ثالثا: الراجح - والله أعلم - بعد استعراضنا لأدلة المجوزين والمانعين، والقرائن المستخدمة في تحرير هذه المسألة: أنه يجوز للحائض دخول المسجد إن كان هناك ضرورة كاستماع درس أو حضور عقد أو ما شابه ذلك. وعلى كل حال فالمسألة - كما رأينا - خلافية وليس ثمة إجماع فيها، وأدلة المانعين أدلة ليست صريحة في المنع، وكلها دلالات مفهوم واستنباطات، والدليل الصريح في المنع لم يصح. هذا والله أعلم.

(الطلاق المعلق):

أولاً: مشروعية الطلاق: ثبتت مشروعية الطلاق بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقد وردت آيات كثيرة عن الطلاق، منها (ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ) (البقرة: ٢٢٩) وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ) (الطلاق:١)، وغير ذلك من الآيات.

وأما السنة: فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وفي حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأله عن زوجته، قال: قلت يا رسول الله إن لي امرأة في لسانها شيء قال: فطلقها إذًا، قال: قلت يا رسول الله إن لي منها ولدا ولها صحبة، قال: عظها فإن يك فيها خير فستقبل ولا تضرب ظعينتك ضرب أمتك... (صحيح ابن حبان وغيره).

أما الإجماع: فقد نقل ابن قدامة الإجماع على جوازه (انظر المغنى لابن قدامة ت ٦٢٠، ٧/٣٦٣)

فائدة:

وردت أحاديث ضعيفة في ذم الطلاق والتنفير منه، كحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أبغض الحلال عند الله الطلاق" (ضعيف سنن أبي داود وغيره) وحديث: تزوجوا ولا تطلقوا؛ فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن (موضوع، انظر الأحاديث الضعيفة للألباني ح١٤٧) وورد في ذمه حديث صحيح عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت، قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه (صحيح مسلم وغيره)، فالشيطان يحب الطلاق؛ لما يترتب عليه من مفاسد، خاصة ما يكون من تفرق وتشتت الأبناء.

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالرفق بالنساء والصبر عليهن، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وفيه... "واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن خلقن من ضلع،

> يجوز للحائض دخول المسجد إن كان هناك ضرورة كاستماع درس أو حضور عقد أو ما شابه ذلك. والمسألة خلافية وليس ثمة إجماع فيها، وأدلة المانعين أدلة ليست صريحة في المنع، والدليل الصريح في المنع لم يصح.

وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا" (متفق عليه) وفي رواية مسلم: (وكسرها طلاقها).

ثانيا: أقسام الطلاق:

الطلاق إما أن يكون منجزًا (في الحال) أو معلقًا.

فالطلاق المنجز هو الذي يقع بصيغة يقصد بها إيقاع الطلاق في الحال، كقوله أنت طالق وهذا طلاق واقع، إذا تحققت شروطه.

أما الطلاق المعلق: فهو أن يعلق وقوع الطلاق على شرط، فإذا وقع الشرط وقع الطلاق، كقوله إذا جاء رمضان فأنت طالق. أو إذا دخلت البيت فأنت طالق... ونحو ذلك، وقسم شيخ الإسلام الطلاق المعلق إلى قسمين حسب الصيغة: إلى صيغة تعليق، وصيغة قَسَم. قال: وأما صيغة القسم فهو أن يقول الطلاق يلزمني لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا، فيحلف به على حض لنفسه أو لغيره أو منع لنفسه أو لغيره أو على تصديق خبر أو تكذيبه... وأما صيغة التعليق، كقوله: إن دخلت الدار فأنت طالق، ويسمى هذا طلاقًا بصفة... (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ت ٧٢٨هـ، ٣٣/٤٥-٤٦).

ثالثا: اختلاف العلماء في حكم إيقاع الطلاق المعلق، على أقوال:

القول الأول: وقوع الطلاق المعلق في جميع الأحوال: سواء قصد الطلاق أم لم يقصده، فإن قال لزوجته أنت طالق لو فعلت كذا، ففي هذه الحالة إما أن يكون قصد إيقاع الطلاق حقيقة إذا تحقق الشرط الذي علق عليه الطلاق، أو لم يقصد إيقاع الطلاق حقيقة، وإنما كان يريد حمل الزوجة على فعل أو ترك أمر ما، بمعنى أنه استخدمه كاليمين (الحلف)، فهذا طلاق واقع عند الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

القول الثاني: التفرقة بين ما جرى مجرى القسم، وهذا يسمى بالتعليق القسمي فصاحبه لا يقصد به الطلاق، وإنما هو كاره لوقوعه بل يريد أن يحمل نفسه أو يحمل غيره على فعل أو ترك، فهذا طلاق لا يقع، بل هو يمين وفيه كفارة يمين وهذا رأي ابن تيمية وابن القيم. (ورجحه ابن عثيمين فقال: هذا هو الصحيح في هذه المسألة، وهو الذي تقتضيه الأدلة وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (الشرح الممتع ١٣/١٢٥) وبين الطلاق المعلق الذي يقصد صاحبه به وقوع الطلاق ولم يجر مجرى اليمين، كقوله: إن طلعت الشمس فأنت طالق، فهذه تطلق إذا طلعت الشمس (انظر الموسوعة الفقهية ٧/٢٧٢، ٢٧٣).

القول الثالث: إن الطلاق المعلق لا يقع في كل الأحوال سواء بالصفة أو باليمين لأنه لم يثبت في الكتاب والسنة هذا النوع من الطلاق، فهو تعدٍّ لحدود الله تعالى، وممن ذهب إلى هذا ابن حزم فقال: والطلاق بالصفة عندنا كما هو الطلاق باليمين، كل ذلك لا يلزم وبالله تعالى التوفيق ولا يكون طلاقا إلا كما أمر الله تعالى به وعلمه، وهو القصد إلى الطلاق، وأما ما عدا ذلك فباطل وتعدٍّ لحدود الله عز وجل (المحلى بالآثار لابن حزم ت ٤٥٦هـ، ٩/٤٧٨).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الطلاق المعلق هو أن يعلق وقوع الطلاق على شرط، فإذا وقع الشرط وقع الطلاق، كقوله إذا جاء رمضان فأنت طالق. أو إذا دخلت البيت فأنت طالق... ونحو ذلك.

باب العقيدة

ظهور البدع في العقائد..
أسبابها وأضرارها

إعداد/ د/عبد الله شاكر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وقت ظهور البدع ومكانها:

(أ) وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تبارك وتعالى: «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقعت في الأمة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»، وأول بدعة ظهرت هي بدعة القدر، وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج، ولما حدثت الفُرقة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية، وذلك في أواخر عصر ابن عباس وابن عمر وجابر وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريبًا من ذلك.

وأما الجهمية: فحدثت في أواخر عصر التابعين، بعد موت عمر بن عبد العزيز، وقد روي أنه أنذر بهم، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك، وهذه البدع ظهرت في القرن الثاني الهجري، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا بعض هذه البدع كبدعة: الخوارج، والروافض، والقدرية، وكان الصحابة عند ظهور هذه البدع منكرين على أهلها، ثم لما ظهرت بدعة الاعتزال وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة؛ قام أيضًا أهلُ العلم بالرد وبيان بدع هؤلاء.

(ب) مكان ظهور البدع:

تختلف البُلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الأمصار الكبار التي سكنها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والإيمان خمسةٌ: الحرمان، والعراقان، والشام. ومنها خرج القرآن، والحديث، والفقه، والعبادة، وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدعٌ أصولية غير المدينة النبوية، والكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، وأما التجهم فظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع.

وكان ظهور البدع بحسب البُعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة المنورة: فكانت سليمة من ظهور البدع، وإن كان بها من هو مُضمر لذلك؛ إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكنهم كانوا مقهورين أذلاء، وذلك بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة والاعتزال وبدع النساك في البصرة، والنصب بالشام، فإنه كان ظاهرًا.

أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

هناك أسباب متعددة أدت إلى ظهور البدع في المسلمين وهي مهمة، ولا بد من ذكر أهم الأسباب حتى ولو كانت كثيرة؛ ليحذر الناس هذه الأسباب حتى لا يقعوا

في البدع والضلالات.

السبب الأول: الجهل بأحكام الدين:

كلما بعد الناس عن آثار الرسالة، وكلما امتد الزمن قل العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»، وقال صلى الله عليه وسلم: «يكون في آخر أمتي أناسٌ دجَّالون كذَّابون، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم».

السبب الثاني: الجهل بمصادر الأحكام، أو الجهل بوسائل فهمها من تلك المصادر:

إن مصادر الأحكام الشرعية - كما هو معلوم - كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أُلحِقَ بهما من الإجماع والقياس، بمعنى: أنه يؤخذ الحكم من كتاب الله تعالى وتليه السنة، ثم الإجماع والقياس، والقياسُ لا يُرجع إليه في أحكام العبادات؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم في الأصل معلولاً بمعنى يوجد في غيره، ومبنى العبادة على التعبد المحض، وإذا كان القياس لا يدخل في العبادات فمن باب أولى لا يدخل في العقائد.

ومن أسباب الجهل بالأحكام: الجهل بأساليب اللغة العربية، والجهل بالسنة، والجهل بمرتبة القياس والجهل بمحل القياس.

السبب الثالث: اتباع الهوى في استنباط الأحكام:

اتباع الهوى في استنباط الأحكام يأتي من أن الناظر في الأدلة قد يكون مما تملكهم الأهواء؛ فتدفعه إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه، ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به، وهذا الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل عليه الأدلة، ويحكم بها عليه؛ مما يؤدي إلى قلب قضية التشريع، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة؛ لأن الأصل أن تؤخذ الأحكام من الأدلة لا أن تقرر الأحكام ثم تتصيد لها الأدلة، وهذا ما يفعله أهل الهوى والضلال.

ومتابعة الهوى هي أصل الزيغ عن الصراط المستقيم، وذلك مصداق قول الحق - تبارك وتعالى -: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (القصص: ٥٠).

السبب الرابع: تقديم العقل على النص:

إن إحسان الظن بالعقل وإعمال العقل في مسائل الدين أدى إلى وقوع البدع بين المسلمين، ورب العالمين سبحانه بعث الرسل مبشرين ومنذرين، وكان خاتمهم صلى الله عليه وسلم الذي بُعث ليبين للناس ما يُرضي خالقهم، ويضمن سعادتهم، ويجعل لهم حظًا وافرًا من خيري الدنيا والآخرة.

السبب الخامس: اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة من العلماء علماء البدع، وابتغاء تأويله من الجهلة المتعالمين:

والأصل في بيان ذلك قول الحق تبارك وتعالى: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (آل عمران: ٧)، الذي يفيد أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل هذه المتشابهات، وأن ذمَّ اتباع هذه المتشابهات عامٌّ يتناول الجاهل والعالم على السواء.

السبب السادس: انتشار الأحاديث الموضوعة والواهية:

الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي روَّجها مَن انتسب إلى العلم أو الرواية، إما لقصد الإفساد في الدين كالزنادقة والملحدين، الرامين بذلك إلى الطعن في الدين، كما ذهبت الكرَّامية إلى تجويز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ترغيبًا وترهيبًا، وغلاة الشيعة الذين وضعوا أحاديث في فضل آل بيت وفي علي وخلافته، واستحقاقه للنبوة، وتلقيه للوصية من النبي صلى الله عليه وسلم كما أن بعض المغفلين قصدوا الزيادة في التعبد في الدين، وذلك بأن وضعوا أحاديث في الرقائق ترغب الناس في مثل هذه المسائل.

والشاهد من كل ذلك: أن انتشار الأحاديث الضعيفة والباطلة والواهية والموضوعة كانت من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ظهور البدع في المسلمين.

السبب السابع: التعصب لآراء الرجال:

التعصب هو الإصرار على الرأي والتمسك به وتقديمه على النصوص الشرعية، وتمحل الأدلة وتكليفها لتأييده وإن كان على خلاف الحق والصواب، وهو في ذاته بدعة ذميمة، بل هو من أمر الجاهلية المنتنة، ومن شيم المغضوب عليهم والضالين.

وهذا التعصب يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ » (لقمان: ٢١)، وقال - جل جلاله -: « إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ » (النجم: ٢٧)، وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب الذين سلكوا طرقا منحرفة كالصوفية والقبوريين، فإنهم إذا دُعوا إلى اتباع الكتاب والسنة وما هم عليه مما يخالفهما، احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

السبب الثامن: التشبه بالكفار:

ومن أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وعندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر؛ إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » (الأعراف: ١٣٨)، ثم قال: لتركبن سنن من قبلكم...» إلى آخر الحديث، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟! قال: «فَمَنْ؟!».

السبب التاسع: التأثر بالأفكار والفلسفات الوافدة من بلاد الكفار على المسلمين:

وفي هذا تجد أن كل فرقة في الإسلام قد استحدثت بعض أصولها وأكثرها من الملل السابقة؛ فالرافضة أخذت عن اليهود والمجوس والجهمية، والمعتزلة أخذوا عن الصابئة، وفلاسفة اليونان والقدرية عن النصارى وهكذا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سَنَنَ مَن كانَ قَبْلَكُم».

السبب العاشر: الغلو: وهو من أهم الأسباب، فلم تظهر الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة مثل الخوارج والصوفية إلا بسبب الغلو، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو...». الحديث.

آثار انتشار البدع:

(أ) آثار انتشار البدع:

انتشار البدع له آثار عامة وآثار خاصة.

فمن الآثار العامة في انتشار البدع: زوال السنن وخفاؤها، وكثرة الخلاف والشقاق بين أفراد الأمة، وازدراء السنن وتنقيصها، وإلغاء حكم الشرع وتحكيم العقل، وتشويه معالم الدين.

هذه هي الآثار العامة التي كانت وراء انتشار البدع.

أما الآثار الخاصة - وهي أيضًا تأتي على صاحب البدعة وتضره -: أنَّ عَمَلَ المبتدع مردودٌ، وأن التوبة تُحجب عنه، وأنه لا يردَ حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يدخل في عداد القائلين على الله بغير علم.

(ب) أضرار البدع:

أضرار البدع إجمالاً:

البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القُربات، فالذي يَجالس صاحب البدعة ينزع الله عز وجل منه العصمة، والماشي إليه - أي: إلى صاحب البدعة - وموقره مُعينٌ على هدم الإسلام، فما الظن بصاحب البدعة؟! فهي تجلب لعنة رب العالمين، وتزيد العبد من ربه بُعدًا، وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، وتمنع من الشفاعة المحمدية، كما أنها ترفع السنن التي تقابلها؛ فما ظهرت بدعة إلا وأزالت مكانها سنة كانت قائمة، والمبتدع عليه إثم مَن عمل ببدعته، ويُبعد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أضرار البدع تفصيلاً:

الضرر الأول:

إدعاء حق التشريع للبشر، واتخاذهم أربابًا من دون الله - تبارك وتعالى - قال تعالى: « ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبة: ٣١)، وقال سبحانه: « وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » (النحل: ١١٦)، وقال تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (الشورى: ٢١)، فمن قبل تشريعًا غير تشريع الله فقد أشرك بالله - تبارك وتعالى - وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَد».

الضرر الثاني:

الطعن في الدين، بالاعتقاد أن التشريع جاء ناقصًا، وأنه تكمله هذه البدعة، والله عز وجل قد أتم لنا الدين، وأكمل علينا نعمته، قال تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣).

الضرر الثالث:

التعبد لله بما لم يشرع؛ فيقوم إبليس بالتلبيس على الناس، بحيث يعتقد الناس في الدين ما ليس من الدين، وذلك مثل الذي يَحْدُثُ في المساجد وغيرها من إدخال البدع فيها، حتى إن البعض يترك السنة فلا يلومه أحد، ويأتي بالبدعة فيتبعه كثير من الناس على بدعته، وكون الإنسان يلتبس عنده الحق بالباطل حتى يتعبد لله بما لم يشرعه الله، يكون بذلك قد وقع في خطر عظيم.

الضرر الرابع:

أن صاحب البدعة محروم من ثواب العمل الذي يعمله، وقد سبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد».

الضرر الخامس:

صاحب البدعة يحرم من الوُرود على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ويدعو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك؛ فأقول: فسحقًا فسحقًا فسحقًا».

الضرر السادس:

صاحب البدعة ملعون؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث فيها أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين».

الضرر السابع:

صاحب البدعة عليه إثم من قلده وعمل بالبدعة التي يعمل بها؛ لقوله تعالى: « لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ » (النحل: ٢٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب الفقه

السجود

الحلقة الثالثة

(تعريفه، حكمه، حكمته، الاطمئنان فيه، صفته، ما يقال فيه)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ناقشنا في العدد السابق أقوال الفقهاء في السجود على اليدين والركبتين والقدمين، وأيهما يقدم، ونواصل في هذا العدد الحديث عن هيئة السجود

إعداد/ د. حمدي طه

هيئة السجود

وهيئة السجود المسنونة أن الإنسان إذا سجد مكن جبهته وأنفه من الأرض ويضعهما بين كفَّيه إلى الأمام قليلاً، ويضع يديه حذو منكبيه وأذنيه ويبسط كفَّيه على الأرض ضامًّا أصابعه، ويستقبل بأطراف أصابعهما القبلة ويرفع مرفقيه وساعديه عن الأرض، وينحي يديه عن جنبيه ويجافي بهما حتى يرى إبطيه ويمكن أيضا ركبتيه وأطراف قدميه ويُفرِّج بين ركبتيه ويستقبل بصدور قدميه وبأطراف أصابعهما القبلة ويرص عقبيه. وينصب رجليه ويُفرِّج بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء منهما، ويرفع مقعدته (زاد المعاد لابن القيم ٢١٥/١، وصفة صلاة النبي للألباني، والجامع لأحكام الصلاة محمود عويضة ٢٥٣/٢).

وينبغي للمصلي ألا يخالف ما سبق؛ فإن كل ما سبق مندوب، فإن هو لم يفعل المندوبات فلا إثم عليه، وسجوده مجْزئ ومقبول. وفي كل ما سلف وردت الأحاديث الصحيحة والحسنة، وسيأتي ذكرها عند وصف هيئة كل عضو:

هيئة الجبهة والأنف في السجود:

من السنة إذا سجد المصلي مكن جبهته وأنفه من الأرض فعن أبي حميد رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سجد أمكن أنفه وجبهته من الأرض... الحديث)- رواه أبو داود والترمذي وصححه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رُؤِي على جبهته وعلى أرنبته أثرُ طينٍ من صلاةٍ صلاها بالناس» رواه أبو داود.

ويضعهما بين كفَّيه لحديث وائل بن حُجْر -رضي الله عنه- وفيه (فلما سجد سجد بين كفيه) رواه مسلم.

هيئة اليدين في السجود:

السنة أن يضع المصلي كفيه حذو منكبيه وأذنيه لحديث أبي حميد رضي الله عنه وفيه: (ووضع كفيه حذو منكبيه) رواه أبو داود والترمذي.

وعن وائل بن حُجْر رضي الله عنه «أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يسجد بين كفَّيه - وفي رواية - ويداه قريبتان من أذنيه» رواه أحمد ومسلم.

ويبسط المصلي كفَّيه على الأرض لحديث أبي حميد رضي الله عنه وفيه: (سجد النبي ووضع يديه غير مفترش ولا قابضهما)، والمراد بقوله ولا قابضهما أنه يبسط كفيه مداً. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني الحنفي).

وعلى هذا؛ يكون موضع اليدين على حذاء المنكبين، وإن شاء قدَّمهما وجعلهما على حذاء الجبهة، أو فُروع الأذنين؛ لأن كلّ هذا مما جاءت به السُّنَّة. (الشرح الممتع ٣٦/٣).

ويضمّ المصلي أصابع يديه، فعنْ وَائِل بْن حُجْر - رضي الله عنه - (أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ إِذَا رَكَعَ فَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِه ، وَإِذَا سَجَدَ ضَمَّ أَصَابِعَهُ) صحيح ابن حبان.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي ضَمِّهِ أَصَابِعَهُ عِنْدَ سُجُودِه، لِتَكُونَ مُتَوَجِّهَةً إِلَى سَمْتِ الْقِبْلَةِ. (سبل السلام ٢/ ١٤٢).

ويستقبل المصلي بأطراف أصابع اليدين القبلة، لحديث أبي حميد - رضي الله عنه - وفيه (.... فإذا سجد وضع يديه غير مفْترش ولا قابضهما، واستقبل بأطراف أصابعه القبلة... الحديث (صحيح ابن خزيمة).

ويرفع المصلي مرفقيه عن الأرض، لحديث البراء - رضي الله عنه - أنه صلى الله عليه و سلم قال: (إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك) رواه مسلم.

ويرفع المصلي كذلك ساعديه عن الأرض، لحديث أبي حميد - رضي الله عنه - وفيه (.... فإذا سجد وضع يديه غير مفْترش... الحديث.

وينحي المصلي يديه عن جنبيه ويجافي بهما حتى يرى إبطيه، لحديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سجد يُجنِّحُ في سجوده حتى يُرى وضحُ إبطيه» رواه مسلم.

وروي خوى وكلها بمعنى واحد فعن ابن عباس رضي الله عنه قال «تدبَّرْتُ صلاةَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيته مخوِّيا، فرأيت بياض إبطيه» رواه أحمد.

قوله مخوِّيا: - يعني أنّ ما بين يديه ورجليه يكون خاويا -والمراد أنه نحى كل يد عن الجنب الذي يليها (الجامع لأحكام الصلاة ٢٥٣/٢).

قوله (وضح إبطيه) هو البياض وفي رواية: (حتى يبدو بياض إبطيه) وفي أخرى: (حتى إني لأرى بياض إبطيه)، قال الحافظ: قال القرطبي: والحكمة في استحباب هذه الهيئة أن يخف اعتماده على وجهه ولا يتأثر أنفه ولا جبهته ولا يتأذى بملاقاة الأرض، قال: وقال غيره: هو أشبه بالتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض مع مغايرته لهيئة الكسلان، وقال ناصر الدين بن المنير في الحاشية: الحكمة فيه أن يظهر كل عضو بنفسه ويتميز حتى يكون الإنسان الواحد في سجوده كأنه عدد. (فتح الباري ٤٩١/٥).

ولو شاءت بهمة -وهي صغار الغنم- أن تمر من تحته لمرَّت من شدَّة مجافاته. فعن ميمونة أن النبي صلى الله عليه و سلم: (كان إذا سجد جافى بين يديه حتى لو أن بهمة أرادت أن تمر تحت يديه مرت). رواه مسلم.

ويُستثنى من ذلك: ما إذا كان في الجماعة؛ وخشي أن يؤذي جاره، فإنه لا يُستحبُّ له؛ لأذيَّة جاره، وذلك لأن هذه المجافاة سُنَّةٌ، والإيذاء أقلُّ أحواله الكراهة، ولا يمكن أن يُفعل شيء مكروه مؤذٍ لجاره مشوِّش عليه من أجل سُنَّة، ولهذا استثنى العلماء رحمهم الله ذلك، فقالوا: ما لم يؤذِ جاره، فإن آذى جاره فلا يفعل. (الشرح الممتع ٣٦/٣).

وظاهر هذه الأحاديث مع حديث أنس الآتي وجوب التفريج المذكور لولا ما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بلفظ: (شكى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم له مشقة السجود عليهم إذا انفرجوا فقال استعينوا بالركب)، وترجم له باب الرخصة في ذلك أي في ترك التفريج، وفسره ابن عجلان أحد رواته بوضع المرفقين على الركبتين إذا طال السجود (نيل الأوطار - الشوكاني ٢٨٠/٢).

هيئة الرجلين في السجود:

من السنة تمكين المصلي الركبتين وأطراف القدمين من الأرض و التفريج بين الركبتين لحديث أبي حميد في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا سجد فرج بين فخذيه... الحديث)، وهذا يقتضي التفريج بين الركبتين ويستقبل

المصلي بصدور قدميه، فعن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوجدته وهو ساجد وصدور قدميه نحو القبلة فسمعته يقول: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. (صحيح سنن النسائي محمد ناصر الدين الألباني).

ويستقبل المصلي بأطراف أصابعهما القبلة لحديث أبي حُمَيْد السَّاعديّ في باب صفة الصَّلاة بلفظ «وَاسْتَقْبَلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ».

ومن السُّنَّة: أن القدمين تكونان مرصوصتين، يعني: يرصُّ القدمين بعضهما ببعض، وكذلك ينصب المصلي رجليه كما في «الصحيح» من حديث عائشة حين فَقَدَت النَّبيَّ صلَى الله عليه وسلّم فوقعت يدُها على بطن قدميه، وهما منصوبتان، وهو ساجد. واليد الواحدة لا تقع على القدمين إلا في حال التَّراصّ، وقد جاء ذلك أيضاً في «صحيح ابن خزيمة» في حديث عائشة المتقدِّم: «أنَّ الرسولَ صلَى الله عليه وسلّم كان رَاصًّا عقبيه» (الشرح الممتع ٣/٣٦).

وقال الشيخ بكر أبو زيد: "السنة في القدمين حال السجود هو التفريق باعتدال على سَمْت البدن، دون غلو في التفريج، ولا جفاء في الإلصاق (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، والله تعالى بأحكامه أعلم.

وقد نظرت في جملة من مشهور كتب المذاهب الفقهية الأربعة، عن وَصْف لحال القدمين في السجود من ضم أو تفريق؛ فلم أر في كتب الحنفية والمالكية شيئاً.

ورأيت في كتب الشافعية: والحنابلة، استحباب التفريق بينهما، زاد الشافعية: بمقدار شبر، وقد تحرر شذوذ رواية رَصّ العقبين هنا.

وأنه لا يعرف في رصّ الساجد عقبيه آثار عن السلف عن الصحابة - رضي الله عنهم - فمن بعدهم، وأنه لم يتم الوقوف على تفريع لأحد من الفقهاء بمشروعية رَصّ العقبين حال السجود، سوى كلمة ابن تميم ومن معه ممن لم يُسَمَّ من الحنابلة، ولَعَلّها من شاذ التفقه. فبقي أن يُقال: المشروع للساجد: هو تفريج القدمين؛ استصحاباً للأصل حال القيام في الصلاة، قال المرداوي في: ((الإنصاف: ٢ / ٦٩)): (فوائد منها: يستحب أن يفرّق بين رجليه حال قيامه. انتهى بتصرف.

ويُفرِّج المصلي بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء منهما، فعن أبي حميد في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا سجد فرج بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء من فخذيه) فالتَّجافي على ثلاثة صور:

١ - التَّجافي بالعضُدين عن الجنبين.
٢ - وبالبطن عن الفخذين.
٣ - وبالفخذين عن السَّاقين.

ولهذا قال النبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اعتدلوا في السُّجود» أي: اجعلوه سجوداً معتدلاً، لا تهصرون فينزل البطنُ على الفخذ، والفخذ على السَّاق، ولا تمتدُّون أيضاً؛ كما يفعل بعضُ الناس إذا سجد يمتدُّ حتى يَقْرُبَ من الانبطاح، فهذا لا شكَّ أنه من البدع، وليس بسُنَّة. الشرح الممتع ٣/٣٦.

ويرفع المصلي مقعدته فعن البراء رضي الله عنه أنه وصف السجود قال «فبسط كفيه ورفع عَجيزَتَه وخوَّى، وقال: هكذا سجد النبي - صلى الله عليه وسلم-» رواه أحمد.

قوله العجيزة: أي المقعدة.

ويدع المصلي ثيابه تسقط على موضع سجوده، كما يدع شعره إنْ كان مسترسلاً يسقط على موضع سجوده لا يكفُّهما في السجود. لحديث ابْنِ عَبَّاس -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أسجد على سبعة لا أكف شعرًا ولا ثوبًا) رواه البخاري.

الحمد لله رب العالمين.



حادثة الإفك

الحلقة الأولى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

في الحروب الفاجرة تُستخدم جميع الوسائل التي تصيب العدو؛ وإن كان بعضها يستحيي من استخدامه الرجل الشريف!

وقد لجأ المنافقون في المدينة إلى مناوأة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته بأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عند ما يستبد بها الحقد، ويغلب عليها الضعف، أسلوب اللمز والتعريض حينا، والإفك حينا آخر.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وكلما توطدت سلطة المسلمين، ورسخت مكانتهم، ازداد خصومهم المنافقون ضغنا عليهم، وتربصا بهم، وقد حاولوا تأييد اليهود عند ما تأذنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجلاء، فلما لم يوقف مدّ الإسلام شيء، ولم تهدّه هزيمة، وأخذت القبائل العادية تختفي واحدة تلو أخرى، التحق أولئك المنافقون بصفوف المسلمين ولم تنكشف نياتهم السوء إلا من فلتات الألسنة ومزالق الطباع، فكانت سيرتهم تلك مثار فتن شداد، تأذى منها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون شيئا غير قليل.

دور المنافقين قبل غزوة بني المصطلق:

قال المباركفوري: كان رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول يحنق على الإسلام والمسلمين، ولا سيما على رسول الله صلى الله عليه وسلم حنقا شديدا. لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته على المدينة، وكانوا ينظمون له الخرز، ليتوجوه إذ دخل فيهم الإسلام، فصرفهم عن ابن أبي، فكان يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي استلبه ملكه. وقد ظهر حنقه هذا وتحرقه منذ بداية الهجرة قبل أن يتظاهر بالإسلام، وبعد أن تظاهر به. (الرحيق المختوم ص: ٢٩٩)

قال ابن هشام: وكان من شدة مكر هذا المنافق وخداعه بالمؤمنين، أنه كان بعد التظاهر بالإسلام، يقوم كل جمعة حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم للخطبة، فيقول: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه، وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخطب، وكان من وقاحة هذا المنافق أنه قام في يوم الجمعة التي بعد أحد - مع ما ارتكبه من الشر والغدر الشنيع - قام ليقول ما كان يقوله من قبل، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا له: اجلس أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلتُ بجرا (قولا قبيحًا) أن قمت أشدد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي. (ابن هشام ١٠٥/٢).

«وقد بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِهِمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْه». (سيرة ابن هشام ت السقا ٢/ ٢٩٠).

على أنّ هذا النصر الميسّر شابه من أعمال المنافقين ما عكّر صفوه، وأنسى المسلمين حلاوته.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَبَيْنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ. فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غُلَامٌ حَدَثٌ فَقَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا؟ وَاللَّهِ مَا أَعُدُّنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَذِهِ إلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ! » أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: مُرْ بِهِ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا وَلَكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيلِ.وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا. فَارْتَحَلَ النَّاسُ. (السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٩٩)

ونزلت سورة المنافقين وفيها تصديق ما روى زيد بن أرقم: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: ٨).

قال الغزالي رحمه الله: لم يدر بخاطر أحد أنّ هذه الأوبة المتعجّلة سوف تتمخض عن أكذوبة دنيئة يحيك أطرافها (عبد الله بن أبي) ثم يرمي بها بين الناس، فتسير مسير الوباء الفاتك.

في عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق إلى المدينة، نبت حديث الإفك وشاع، واجتهد خصوم الله ورسوله أن ينقلوا شرره في كل مكان قاصدين- من وراء هذا الأسلوب الجديد في حرب الإسلام- أن يدمّروا على الرسول صلى الله عليه وسلم بيته، وأن يسقطوا مكانة أقرب الرّجال لديه، وأن يدعوا جمهور المسلمين- بعد ذلك- يضطرب في عماية من الأسى والغم!!.

وللوصول إلى هذه الغاية استباح ابن أبي لنفسه أن يرمي بالفحشاء سيدة لمّا تجاوز مرحلة الطفولة البريئة، لا تعرف الشرّ، ولا تهمّ بمنكر، ولا تحسن الحياة إلا في فلك النبوة العالي، وهي التي تربّت في حجر صدّيق، وأعدت لصحبة نبي في الدنيا والآخرة. وتلقف العامة هذا الحديث الغريب، وهم في غمرة الدهشة، لا يدرون مبلغ الخطر الكامن في قبوله ونقله.واليك سردا لهذا (الحديث) المفتعل على لسان السيدة التي تعرّضت له وبرئت منه». (فقه السيرة للغزالي ص: ٢٩١).

حديث الإفك:

قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا،فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ........».

قال ابن بطال: قولها رضي الله عنها: أقرع صلى الله عليه وسلم بين نسائه؛ ذكرها القرعة فيها؛ لأن العدل بين النساء فريضة، فلو خرج بواحدة من أزواجه دون قرعة لم يكن ذلك عدلا بينهن وكان ميلا، فكانت القرعة فصلا في ذلك يرجع إليه، كما يحكم بالقرعة في كثير مما يشكل أمره من أمور الشريعة. وفعله سنة لا يجوز العدول عنها. (شرح صحيح البخاري ٥/ ٧٦).

وقال: القرعة في المشكلات سنة عند جمهور الفقهاء في المستوين في الحجة؛ ليعدل بينهم، وتطمئن قلوبهم وترتفع الظنة عمن تولى قسمتهم،

ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعًا للكتاب والسنة. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٧٥).

وقال الشوكاني رحمه الله: «وفي الأمر بالقُرْعَة عِنْدَ المُسَاوَاة أَوْ المُشَاحَة وَقَدْ وَرَدَتْ القُرْعَة في كتاب الله في مَوْضِعَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَوْله تَعَالَى: «إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ» (آل عمران: ٤٤) وَالثَّانِي قَوْله تَعَالَى: «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» (الصافات: ١٤١) وَجَاءَتْ في خَمْسَة أَحَادِيث مِنْ السُّنَّة: الأَوَّل هَذَا الْحَدِيث، الثَّانِي: حَدِيث: «أَنَّهُ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ» الثَّالِث «أَنَّهُ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْرَعَ في سِتَّة مَمْلُوكِينَ».

الرَّابِع: قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ» الْخَامِسُ حَدِيثُ الزُّبَيْرِ: «إِنَّ صَفِيَّةَ جَاءَتْ بِثَوْبَيْنِ لِتُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَوَجَدْنَا إِلَى جَنْبِهِ قَتِيلًا، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ وَلِلأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ، فَوَجَدْنَا أَحَدَ الثَّوْبَيْنِ أَوْسَعَ مِنَ الآخَرِ، فَأَقْرَعْنَا عَلَيْهِمَا ثُمَّ كَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ في الثَّوْبِ الَّذِي خَرَجَ لَهُ» وَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اطَّلَعَ عَلَى هَذَا وَقَرَّرَهُ؛ لأَنَّهُ كَانَ حَاضِرًا هُنَالِكَ، وَيَبْعُدُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ في حَقِّ حَمْزَةَ، وَقَدْ كَانَتْ الصَّحَابَةُ تَعْتَمِدُ الْقُرْعَةَ في كَثِيرٍ مِنْ الأُمُورِ كَمَا رُوِيَ: «أَنَّهُ تَشَاحَّ النَّاسُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ في الأَذَانِ فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ سَعْدٌ». (نيل الأوطار ٥/ ٣٠٣).

ألا فليتعلم من هذا الهدي العظيم من عندهن أكثر من زوجة، في تحري العدل بينهن. إن الله يأمر بالعدل والإحسان. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ زَوْجَتَانِ فَكَانَ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ، أَوْ قَالَ: سَاقِطٌ». (سنن النسائي ح٣٩٤٢).

قَوْلُهَا: (فَأَيَّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها)، هيَ غزوة بني المصطلق، وكانت سنة ست، وتعرف أيضًا بغزوة المريسيع، قَوْلُهَا: (فأنا أُحْمَل في هودج) وهو مركب من مراكب العرب أعدَّ للنساء، وَأُنْزَلُ فيه (إذا نزل الجيش منزلًا)، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل (أي رجع)، دنونا (اقتربنا) من المدينة قافلين، آذن (أعلن) ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش (يعني ابتعدت عن الأنظار لتقضي حاجتها)، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي (وهو قضاء الحاجة من بول أو غيره، وعبرت بلفظ «شأنها» لاستقباح ذكره والتصريح به)، تقول: أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي (منزلي)، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا (كلمة «إذا» دلت على المفاجأة) فإذا عِقْدٌ لِي (وهو القلادة) مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ (نوع من الخرز من اليمن)، قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، (والعقد الملتمس مقدار ثمنه اثني عشرة درهمًا- أي ما يعادل ٥٥جنيه مصري الآن)،قالت: فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، (أي أخرني البحث عنه)......». (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٢٢٨).

قالت:» وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ. (صحيح البخاري ٥/ ١١٦).

قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، (الرَّهْطُ): جَمَاعَةٌ دُونَ الْعَشَرَةِ كانوا «يَرْحَلُونَ»: أَيْ يَجْعَلُونَ الرَّحْلَ عَلَى الْبَعِيرِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا «فرَحَلُوهُ». (وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا وَضْعَ الرَّحْلِ عَلَى الْبَعِيرِ بَلْ وَضْعَهَا وَهِيَ فِي الْهَوْدَجِ عَلَى الْبَعِيرِ تَشْبِيهًا لِلْهَوْدَجِ

الَّتي هيَ فيه بالرَّحل الَّذي يُوضَعُ عَلى الْبَعير). قَالت: فَاحتَملُوا هَوْدَجي فَرَحلوهُ عَلى بَعيري الَّذي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْه، وَهُمْ يَحْسبُونَ أنِّي فيه، وكَانَ النِّسَاءُ إذْ ذَاكَ خفَافًا لَم يهْبُلْنَ (أَيْ يُثْقَلْنَ باللَّحْم والشَّحْم)، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إنَّما يَأْكُلنَ العُلْقَةَ منَ الطعَام (أَيْ الْقَليل، وَيُقَالُ لَها أَيْضًا: (الْبُلْغَة)، الَّذي يَمْسكُ الرَّمَقَ وَيُعلقُ النَّفْسَ). فَلَمْ يَسْتَنْكر القَوْمُ خفَّةَ الهَوْدَج حينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَاريَةً حَديثَةَ السِّنِّ (تَقصد ليست خبيرة في التصرف)، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا (انطلقوا بدوني)، وَوَجَدْتُ عقْدي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْش (ابتعد في المسير)، فَجئْتُ مَنَازلَهُمْ (وهي أماكنهم قبل الرحيل) وَلَيْسَ بهَا منْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجيبٌ (أي المنادي ولا من يرد عليه)، فَتَيَمَّمْتُ (قصدت) مَنْزلي (مكاني) الَّذي كُنْتُ به. قَوْلُهَا «وَظَنَنْت أنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقدُونَني فَيَرْجعُون إليَّ». (طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل العراقي ت٨٠٦هـ ٨/ ٥٢).

قلت: وهذا يعتبر من حُسْن التصرف على حداثة سنها كما نبهَتْ هي، وهنا فائدة عظيمة وهي أن الإنسان إذا كان مع رفقة وتاه أحدهم فالصواب أن يرجع ويقف في المكان الذي افتقدهم فيه، لأنه هو نقطة الالتقاء المعلومة لدى الجميع. قال ابن حجر: وَهَكَذا يَنْبَغي لمَنْ فقدَ شَيْئًا أنْ يَرْجعَ بفكْره الْقَهْقَرى إلى الْحد الَّذي يَتَحقَّقُ وُجُودَهُ ثُمَّ يَأْخُذ منْ هُنَاكَ في التَّنْقيب عَلَيْه .(فتح الباري ٨/ ٤٦١) قَال: فَإنْ قيلَ: لمَ لَمْ تَسْتَصْحبْ عَائشَةُ مَعهَا غَيْرَهَا، فَكَانَ أَدْعَى لأَمْنهَا مَّا يَقَعُ للْمُنْفَرد، وَلكَانَتْ لَمَّا تَأَخَّرَتْ للْبَحْث عَن الْعقْد تُرْسلُ مَنْ رَافقَهَا ليَنْتَظرُوهَا إنْ أَرَادُوا الرَّحيلَ وَالْجَوابُ أنَّ هَذَا منْ جُمْلَةَ مَا يُسْتَفَاد منْ قَوْله حَديثَةُ السِّنِّ لأنَّها لَم يَقع لَهَا تَجْربَةٌ مثْل ذَلك، وَقَدْ صَارَتْ بَعْدَ ذَلكَ إذا خَرجَتْ لحَاجَتهَا تَسْتَصْحبُ كَمَا سَيَأتي في قصَّتهَا مَعَ أمِّ مسْطح . (فتح الباري لابن حجر٨/ ٤٦١).

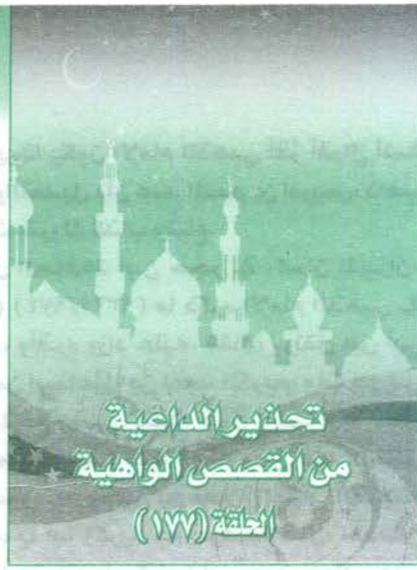
قولها: "وَظَنَنْت أنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقدُونَني فَيَرْجعُون إلَيَّ" أَرَادَتْ بمَنْ يَفْقدُهَا مَنْ هُوَ منْهَا بسَبَب كَزَوْجهَا أَوْ أبيهَا، وَالْغَالبُ الأَوَّل، لأنَّهُ كَانَ منْ شَأنه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أنْ يُسَايرَ بَعيرَهَا وَيَتَحَدَّثَ مَعهَا، فَكَأنَّ ذَلكَ لَم يَتَّفقْ في تلْكَ اللَّيْلة، وَلَمَّا لم يَتَّفقْ مَا تَوقَّعَتْهُ منْ رُجُوعهمْ إلَيْهَا سَاقَ اللَّه إلَيْهَا مَنْ حَمَلَهَا بغَيْر حَوْل منْهَا وَلا قُوَّة.

قَالت: " فَبَيْنَا أَنَا جَالسَةٌ في مَنْزلي، غَلَبَتْني عَيْني فنمْتُ"، يُحْتَملُ أنْ يَكُونَ سَبَبُ النَّوْم شدَّةَ الْغَمِّ الَّذي حَصَل لَهَا في تلْكَ الْحالَة، وَمنْ شَأن الْغَمِّ - وَهُوَ وُقُوعُ مَا يُكْرَهُ - غَلَبَةُ النَّوْم، بخلاف الْهَمِّ وَهُوَ تَوقُّعُ مَا يُكْرَه، فإنَّهُ يَقْتَضي السَّهَر، أوْ لمَا وَقَعَ منْ بَرْد السَّحر لَهَا مَعَ رُطوبَة بدنهَا وَصغر سنّهَا، أوْ أنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعالى لَطَفَ بهَا فَألْقَى عَلَيْهَا النَّوْمَ لتَسْتَريحَ منْ وَحْشَة الانْفراد في الْبَرِّيَّة باللَّيْل قالت: " وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّل السُّلَميُّ ثُمَّ الذكوانيّ (وَكَانَ صَحابيًّا فاضلا) منْ وَرَاء الْجَيْش". وَوَقَعَ في حَديث ابن عُمَر بَيَانُ سَبَب تَأَخُّر صَفْوَانَ وَلفْظُهُ: سَأَلَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم أنْ يَجْعَلَهُ عَلَى السَّاقَة، فَكَانَ إذَا رَحَلَ النَّاسُ قَامَ يُصَلي، ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ، فَمَنْ سَقَطَ لَهُ شَيْءٌ أَتَاهُ به.(فتح الباري لابن حجر٨/ ٤٦١).

قالت: " فَرَأَى سَوَادَ إنْسَان نَائم" أَيُّ شَخْص كَانَ، فَكَأنَّهَا قَالَتْ: رَأى شَخْصَ آدَميٍّ لَكنْ لا يَظْهَرُ أَهُوَ رَجُلٌ أو امْرَأَةٌ، قالت: " فَعَرَفَني حينَ رَآني"، هَذَا يُشْعرُ بأنَّ وَجْهَهَا انْكَشَفَ لَمَّا نَامَتْ، لأنَّها تَلَفَّفَتْ بجلْبَابهَا وَنَامَتْ، فَلَمَّا انْتَبَهَتْ باسْتَرْجَاع صَفْوَانَ بَادَرَتْ إلَى تَغْطيَة وَجْهها، قَوْلُها: " وَكَانَ يَرَاني قَبْلَ الْحجَاب" أَيْ قَبْلَ نُزُول آيَة الْحجَاب، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قدَم إسْلام صَفْوَان، فَإنَّ الْحجَابَ كَانَ في قَوْل أَبي عُبَيْدَةَ وَطَائفَة في ذي الْقَعْدَة سَنَة ثَلاث وَعنْدَ آخَرينَ فيهَا سَنَة أَرْبَع وَصَحَّحَهُ الدِّمْيَاطيُّ. (فتح الباري لابن حجر٨/ ٤٦٢).

قَوْلُها: " فَاسْتَيْقَظْتُ باسْتَرْجَاعه حينَ عَرَفَني" أَيْ بقَوْله إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ، وَكَأنَّهُ شَقَّ عَلَيْه مَا جَرَى لعَائشَة، أَوْ خَشيَ أنْ يَقَعَ مَا وَقَعَ، أوْ أنَّهُ اكْتَفَى بالاسْتَرْجَاع رَافعًا به صَوْتَهُ عَنْ مُخَاطَبَتهَا بكَلام آخَر صيَانَة لَهَا عَن الْمُخَاطَبَة في الْجُمْلَة. وَفيه دَلالَةٌ عَلَى فطْنَة صَفْوَان وَحُسْن أَدَبه. وَقَوْلُهَا: فَخَمَّرْتُ أيْ غَطَّيْتُ وَجْهي بجلْبَابي أي الثَّوْبُ الَّذي كَانَ عَلَيْهَا.قالت: " وَاللَّه مَا يكلمُني كَلمَةً"، عَبرَتْ بالمضارع إشَارَة إلَى أنَّهُ اسْتَمَرَّ منْهُ تَرْكُ الْمُخَاطَبَة لئَلَّا يُفْهَمُ لَوْ عَبَّرَتْ بصيغَة الْمَاضي اخْتصَاصُ النَّفْي بحَال الاسْتيقَاظ. قَوْلُها: " وَلا سَمعْتُ منْهُ كَلمَةَ غَيْرَ اسْتَرْجَاعه حَتَّى أَنَاخَ رَاحلَتَهُ فَوطئ عَلَى يَدهَا"، أَيْ ليَكُونَ أَسْهَلَ لرُكُوبهَا وَلا يَحْتَاجُ إلَى مَسِّهَا عنْدَ رُكُوبهَا.

والى لقاء آخر إن شاء الله.



قصة اليهودي الذي سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الحُجُب

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ نتيجة وجودها في كتب السنة الأصلية، كذلك في كتب التوحيد، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوي عن أبي هريرة «أن رجلاً من اليهود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم، هل احتجب الله عز وجل عن خلقه بشيء غير السماوات والأرض؟

قال: نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نار، وسبعون حجابًا من نور، وسبعون حجابًا من ظلمة، وسبعون حجابًا من رَفارف الإستبرق، وسبعون حجابًا من رفارف السندس، وسبعون حجابًا من دُرِّ أبيض، وسبعون حجابًا من در أحمر، وسبعون حجابًا من در أصفر، وسبعون حجابًا من در أخضر، وسبعون حجابًا من ضياء استضاء من النار والنور، وسبعون حجابًا من ثلج، وسبعون حجابًا من ماء، وسبعون حجابًا من غمام، وسبعون حجابًا من برد، وسبعون حجابًا من عظمة الله التي لا توصف.

قال: فأخبرني، عن مَلَك الله الذي يليه؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصدقت فيما أخبرتك يا يهودي؟

قال: نعم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن الملك الذي يليه إسرافيل، ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين». اهـ.

ثانيا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي به قصة «اليهودي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجب أخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ في «المعجم الأوسط» (٤٣٥/٩) (ح٨٩٣٧)، ط: دار المعارف بالرياض- قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا يوسف بن زياد، عن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه إدريس، عن جده وهب بن منبه، عن أبي هريرة: أن رجلاً من اليهود أتى النبي صلى الله عليه وسلم....» القصة.

٢- ومن هذا الطريق أخرجه الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٨٠/٤).

٣- ومن هذا الطريق أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٣٠٠).

٤- ومن هذا الطريق أورده أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في «إثبات صفة العلو» (ص٢٠) باب: «ذكر أخبار دالة على أن الله فوق عرشه».

ثالثا: التحقيق:

١- هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة قال الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٣٦/٩): «لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به أسد».

٢- قلت: قوله هذا يدل على أن هذا الحديث

«فرد مطلق» كما هو مقرر عند علماء الصناعة الحديثية حيث بيّن ذلك الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٣/٣٨٤)- ط. دار المنهاج بالرياض- قال: «الفرد المطلق هو الحديث الذي لا يعرف إلا من طريق هذا الصحابي ولو تعددت الطرق إليه».

٣- وهذا القول من هذا الإمام الحافظ يحسبه من لا دراية له أنه هين، ولكنه عظيم عند من الحديث صناعته، حيث يتبين منه أن رواة هذا الحديث من أسد بن موسى فما فوقه لا يوجد له متابعات تامة أو قاصرة.

٤- علة هذا الخبر: عبد المنعم بن إدريس.

أ- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/٦٧): «عبد المنعم بن إدريس هو ابن ابنة وهب بن منبه». اهـ.

ب- وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢/١٣٨): «عبد المنعم بن إدريس ذاهب الحديث». اهـ.

جـ- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٨٧): «عبد المنعم بن إدريس: ليس بثقة». اهـ.

د- وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/١١٢/١٠٨٤): «عبد المنعم بن إدريس، ابن بنت وهب بن منبه: حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي، قال: قدمنا اليمن في سنة ثمان وتسعين فسألنا عن عبد المنعم فقالوا: مات أبوه وله خمس أو ست سنين». اهـ.

هـ- وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٥٧): «عبد المنعم بن إدريس بن سنان بن كليب: ابن بنت وهب بن منبه يروي عن أبيه عن وهب، روى عنه العراقيون، يضع الحديث على أبيه وعلى غيره من الثقات لا يحل الاحتجاج به، ولا الرواية عنه، كانت أمه أم سلمة بنت وهب بن منبه مات سنة ثمان وعشرين ومائتين». اهـ.

و- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٦٦٨/٥٢٧٠): «عبد المنعم بن إدريس اليماني، مشهور قصاص، ليس يعتمد عليه، تركه غير واحد، وأفصح أحمد بن حنبل فقال: «كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين ببغداد».

قلت: وبهذا يكون الإمام الذهبي أقرَّ أقوال أئمة الجرح والتعديل بأن عبد المنعم بن إدريس: ذاهب الحديث متروك كذاب وضَّاع.

ز- ونقل الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/٨٧) (٩٧٤/٩٣٢٥) ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» وأقره وزاد عليه، فقال: «ونقل ابن أبي حاتم عن إسماعيل بن اعبد الكريم: مات إدريس وعبد المنعم رضيع، وكذا قال أحمد، إذ سئل عنه: لم يسمع من أبيه شيئًا، وقال عبد الخالق بن منصور، عن يحيى بن معين: الكذاب الخبيث، قيل له: يا أبا زكريا، بم عرفته؟ قال: حدثني شيخ صدوق، أنه رآه في زمن أبي جعفر يطلب هذه الكتب من الوراقين، وهو اليوم يدعيها، فقيل له: إنه يروي عن معمر، فقال: كذاب.

وقال الفلاس: متروك، أخذ كتب أبيه فحدث بها، ولم يسمع من أبيه شيئًا.

وقال البرذعي، عن أبي زرعة: واهي الحديث.

وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث.

وقال ابن المديني: ليس بثقة أخذ كتبًا فرواها.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الساجي: كان يشتري كتب السيرة فيرويها، ما سمعها من أبيه ولا بعضها.

وقال ابن سعد: مات ببغداد وقد قارب مائة سنة في شهر رمضان».

حـ- قلت: من هذا الاستقراء التام لأقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد المنعم بن إدريس أن هذا الخبر الذي جاءت به قصة سؤال اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحجب خبر باطل مردود بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي.

أما عن السقط في الإسناد فهو سقط خفي ونوعه من التحقيق «مرسل خفي»، وأصحاب الصناعة الحديثية يفرقون بين المدلس والمرسل الخفي، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٣): «والفرق بين المدلس والمرسل الخفي دقيق». اهـ.

قلت: وقد قال الحافظ ابن حجر في «النكت على ابن الصلاح» (٢/٦١٤/٩٠) ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المجلس العلمي إحياء التراث العلمي (١٤) تحت النوع (١٢) «معرفة التدليس»:

«وقد ذكر ابن القطان في أواخر البيان له تعريف التدليس، قال: «ونعني به أن يروي المحدث عمن قد سمع منه ما لم يسمعه منه من غير أن يذكر أنه سمعه منه، والفرق بينه وبين الإرسال: هو أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه، ولما كان في هذا- أي التدليس- أنه قد سمع منه كانت روايته عنه، بما لم يسمعه منه كأنها إيهام سماعه ذلك الشيء فلذلك سمي تدليسًا».

قلت: ما نقله الحافظ ابن حجر عن ابن القطان في التفريق بين «التدليس» وبين المرسل الخفي، هو في «بيان الوهم والإيهام» لابن القطان (٤٩٣/٥)، وقول أبي الحسن بن القطان نقله أيضًا الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٣١٤/١).

قلت: وبهذا يتبين:

١- أن كلاً من المدلس والمرسل إرسالاً خفيًا يروي عن شيخ شيئًا لم يسمعه منه بلفظ يحتمل السماع وغيره.

٢- لكن المدلس قد سمع من ذلك الشيخ أحاديث غير التي دلسها.

٣- أما المرسل إرسالاً خفيًا لم يسمع من ذلك الشيخ أبدًا لا الأحاديث التي أرسلها ولا غيرها لكنه عاصره ولقيه.

قلت: وبتطبيق هذا على عبد المنعم بن إدريس في روايته عن أبيه قال أحمد: لم يسمع من أبيه شيئًا كما بينا آنفًا. وقال الفلاس: أخذ كتب أبيه فحدث بها ولم يسمع عن أبيه شيئًا.

وقال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٧/٦): «حدثني أبي حدثنا سلمة بن شبيب قال: سمعت إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني قال: مات أبو عبد المنعم عندنا باليمن وعبد المنعم يومئذ رضيع». اهـ.

قلت: بهذا يتبين دقة علماء الجرح والتعديل في إثبات عدم السماع، وأنه لم يسمع من أبيه أبدًا مع أنه عاصره ولقيه لأن أباه إدريس مات وهو رضيع.

ومع هذا السقط بالإرسال الخفي فهناك طعن أيضًا في الراوي عبد المنعم بن إدريس فكما بينا آنفًا من أقوال علماء الجرح والتعديل: أنه كذاب خبيث، واهي الحديث، ذاهب الحديث، متروك، وضاع، ليس بثقة، وكذلك أبوه إدريس متروك كما في «الميزان» (٦٨١/١٦/١).

وبهذا يصبح الخبر الذي جاءت به القصة موضوع وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ورتبته شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها.

وحكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) في النوع الحادي والعشرين، وتصبح القصة واهية.

رابعًا: البديل الصحيح في الحجاب:

أ- هذا الخبر الموضوع الباطل الذي جعل خمسة عشر صنفًا من الحجب وهي كما جاءت في الخبر: النار، والنور، والظلمة، ورفاف الإستبرق، ورفاف السندس، والدر الأبيض، والدر الأحمر، والدر الأصفر، والدر الأخضر، وضياء استضاء من النار والنور، والثلج، والماء، والغمام، والبرد، وعظمة الله التي لم توصف.

هذه خمسة عشر صنفًا كل صنف سبعون حجابًا.

وحاولت أن أبين حقيقة هذا الخبر حيث أخرجته كتب السنة الأصلية كما بينا آنفًا من التخريج، بل اتخذه بعض أهل التوحيد- عفا الله عنا وعنهم- كما بينت آنفًا لإثبات صفة العلو في كتابه المسمى «إثبات صفة العلو».

ب- البديل الصحيح في الحجاب حديث أبي موسى عن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

١- أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح١٧٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤٠٥/٤) (ح١٩٦٤٩)، وابن ماجة في «السنن» (ح١٩٥)، والآجري في «الشريعة» (ح٨٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ح٦١٤)، والإمام ابن خزيمة في «التوحيد» (ح٢٩)، (ح١٠٠)، كلهم من طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن

أبي موسى مرفوعًا.

٢- وأخرجه ابن منده في كتاب «التوحيد» (ح٣٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٨٥) من طريق سفيان الثوري عن الأعمش به.

٣- وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ح٦٩٦)، ومسلم أيضًا في «الصحيح» (ح١٧٩/٢٩٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٨٥)، والدارمي أبو سعيد في «الرد على الجهمية» (ح١١٧)، كلهم من طريق جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به.

٤- وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح٦٠٢٢) من طريق عمرو بن الغفار عن الأعمش به.

هذه هي طرق حديث الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

الطريق الثاني: رواية العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة.

٥- وأخرجه الإمام ابن خزيمة في كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» (ح٢٨) من رواية العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

الطريق الثالث: رواية شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة به. أخرجه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ح١٠١)، وأخرجه ابن منده في كتاب «التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته» (ح٨٤٥). وأخرجه مسلم في «صحيحه» (ح١٧٩/٢٩٥).

الطريق الرابع: رواية سفيان الثوري عن عمرو بن مرة به. أخرجه الآجري في «الشريعة» (ح٨٠٦)، وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ح٣٠).

الطريق الخامس: رواية المسعودي وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عمرو بن مرة به.

أخرجه أبو داود الطيالسي في «المسند» (ح٤٩٣)، وأحمد في «المسند» (٤٠٠/٤) (ح١٩٦٠٢)، وابن ماجه في «السنن» (ح١٩٦)، وأبو يعلى في «المسند» (ح٧٢٦٢)، والآجري في «الشريعة» (ح٨٠٧).

الطريق السادس: رواية الحسن بن عمرو عن عمرو بن مرة، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٦٠٢٢).

من هذا التخريج وتجميع الطرق يتبين أن هذا الحديث اشتهر عن عمرو بن مرة رواه عنه الأعمش، والعلاء بن المسيب وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، والمسعودي، والحسن بن عمرو.

رواية أبي عبيدة عن أبي موسى، والحديث عزيز عن أبي عبيدة.

١- رواه عنه عمرو بن مرة كما بينا آنفًا واشتهر عنه.

٢- ورواه عنه عبد الله بن مرة أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح١٥٣٥).

الرواية الثانية من حديث أبي موسى عبد الله بن قيس مرفوعًا.

والحديث عزيز عن أبي موسى:

١- رواه عنه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

٢- ورواه عنه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري أخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (ح٣٢)، والآجري في «الشريعة» (ح٧٠٣)، ح(٨٠٨).

لقد بينا طرق هذا الحديث لأهميته كما هو مبين من التخريج للأئمة أهل السنة في مصنفات الاعتقاد في الأسماء والصفات وبيان العزة والشهرة التي يستبين منها المتابعات كما هو مقرر عند أصحاب الصناعة الحديثية، وبها تظهر قوة الإسناد لأهمية هذا الحديث في الاعتقاد.

خامسًا: تنبيه شيخ الإسلام ابن تيمية:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/٦): قول النبي صلى الله عليه وسلم: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

فهي حجب تحجب العباد عن الإدراك كما يحجب الغمام والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت تجلت الشمس والقمر.

٢- وأما حجبها لله عن أن يَرى ويدرك فهذا لا يقوله مسلم فإن الله لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة السوداء.

٣- والجهمية لا تثبت له حجابًا أصلاً؛ لأنه عندهم ليس فوق العرش، «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف:٥).

هذا ما وفقني الله إليه

وهو وحده من وراء القصد.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب



شفاء القلوب

الحلقة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. وبعد،

موضوعنا يتعلق بالقلوب التي هي أصل الخير والشر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير المتفق عليه: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

إعداد/ الشيخ مصطفى العدوي

فإذا أصيب الإنسان -عافانا الله وإياكم- بمرض في قلبه بحث عن أعلم أهل الطب بطب القلوب، ولكن ثم للقلوب مرض آخر هو الذي يسبب النكسات والابتلاءات في الدنيا والآخرة، وقليل من العباد من ينتبه له ويتفطن، للقلوب أمراض غير تلك المعهودة التي تبادرون بعلاجها عند أطباء القلوب الحذاق، وقليل منكم من ينتبه لقلبه ويصلحه، ولا يخفى عليكم أن الذي ينفع يوم القيامة هو القلب السليم، فإن الخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذي جاء ربه بقلب سليم دعا ربه فقال: « وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ » (الشعراء:٨٧) (لا تخزني): لا تذلني ولا تهني -يا رب- يوم يبعثون! « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (الشعراء:٨٨-٨٩). وعلى قدر سلامة قلبك في الآخرة يكون قربك من الله، على قدر قربك من الخير، وعلى قدر مرضك ومرض قلبك في الآخرة على قدر قربك من الشر عياذاً بالله من ذلك، فيوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون « إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (الشعراء:٨٩) فالقلب الذي ينفع يوم القيامة هو القلب السليم، ليس القلب الملوث بالشرك، فيوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون « إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (الشعراء:٨٩) فالقلب السليم ينفع صاحبه في الآخرة، وينفع صاحبه في الدنيا، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي لا يخفى عليكم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم)، (التقوى ها هنا! التقوى ها هنا! التقوى ها هنا! ويشير ثلاث مرار إلى صدره صلى الله عليه وسلم)، في الدنيا كذلك القلب السليم ينفع، لما أسر بعض المشركين يوم بدر، وكان المسلمون يأخذون منهم الفداء فقال بعضهم: يا رسول الله! إنا كنا مسلمين فكيف ندفع الفداء ونحن كنا مسلمين، وإنما أظهرنا الكفر خوفاً من الكفار؟! فقال سبحانه: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي

قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ» (الأنفال:٧٠) إن كان في قلوب بعضكم خير -والله يعلم بالقلوب- فالله سوف يعوضكم عن هذا الفداء الذي افتديتم به أنفسكم، «يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ»، وإضافة إليه «وَيَغْفِرْ لَكُمْ»، والله سبحانه وتعالى يوم الفتح أنزل السكينة في قلوب المؤمنين لما علم في قلوبهم، قال سبحانه: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح:١٨)، فعلم الله ما في قلوب أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً» (الفتح:١٨-١٩).

فصلاح القلب عليه صلاح الدنيا والآخرة، وفساد القلب عليه فساد الدنيا والآخرة عياذاً بالله من ذلك، فجدير بنا أن نعرف الأمراض التي تعتري قلوبنا ونعالجها، وليس هناك طبيب أمهر يعالج قلبك -بعد الله سبحانه وتعالى- من نفسك التي بين جنبيك، أنت تعرف مرضك وتعرف كيف تداويه بإذن الله تعالى، غاية ما يفعله أهل الذكر أنهم ينبهونك، ويصفون لك الدواء، والأمر بيدك -بعد الله سبحانه- إن شئت أطعت، وإن شئت رددت، ومرد ذلك كله إلى الله عز وجل.

مرض الشرك وعلاجه

تعتري القلوب أمراض أعظمها مرض الشرك والرياء والعياذ بالله! مرض الشرك علاجه أن تقول كمسلم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يأتي مرض الرياء الذي خافه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً، وذكر أن هذا المرض من أصيب به سعرت به نار جهنم عياذاً بالله من ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟! قال: الرياء) وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة: رجل عالم أتي به فسئل: ماذا عملت في علمك؟! فيقول لله عز وجل: يا رب! تعلمت فيك القرآن، وعلمته للناس، فيقال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، فيؤخذ به فيلقى في النار) فأول الناس هؤلاء الثلاثة توقد بهم جنهم، كما تبدأ في إشعال النار بالكبريت! والثاني رجل مجاهد مراء (أتي به فعدد الله نعمه عليه وقال له: ماذا عملت فيها؟! فقال: يا رب! قاتلت فيك وقتلت، فيقال: كلا، ولكنك قاتلت ليقال: جريء، فيؤخذ به فيلقى في النار) وهذا ذكره الإمام البخاري في باب: لا يقال: فلان شهيد.

والثالث: (رجل آتاه الله من صنوف المال فتصدق، فأتي به يوم القيامة، فقيل له: ماذا عملت في المال؟ قال: يا رب! أنفقت في سبيلك وتصدقت، فيقال: لا، ولكنك تصدقت ليقال: هو محسن، وقد قيل فيؤخذ فيلقى في النار)، هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار، أفعالهم التي فعلوها فعل خير، لكن قلوبهم ملوثة، لوثت بالرياء منهم عياذاً بالله، فأحبط الرياء أعمالهم، يأتي أقوام بكم هائل من الحسنات في الظاهر، لكنهم عملوها رياء الناس، فكما قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا» (النساء:٣٨).

فمرض الرياء من أخطر الأمراض التي ترد على القلب، وكما سمعتم كان سبباً في إسعار النار وإيقادها بهؤلاء الثلاثة: العالم والمجاهد والمتصدق.

ما هو علاج مرض الرياء؟ الاستعاذة بالله من مرض الرياء، وقد ورد في علاجه حديث تكلم فيه، ألا وهو حديث أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه فقال له: (قل: اللهم! إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم)، والحديث منازع في تحسينه وتضعيفه، ومن حسنه حسنه لأنه في باب فضائل الأعمال، فهذا أحد أنواع علاج الرياء.

هناك علاجات أخرى أقوى وأعظم وهي: البعد عن الناس، ومراجعة النفس، والصلاة

بالليل والناس نيام، فتعمد أن تبتعد عن الناس في ليلك، وتصلي في الليل حيث لا يراك إلا الله سبحانه وتعالى، واجتهد بعد أن تتعوذ بالله من عين لا تدمع أن تذرف دمعات لله سبحانه وتعالى حيث لا يراك الناس، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: (ورجل ذكر الله خالياً) أي: بعيداً عن الناس، (ففاضت عيناه)، فتعمد -كي تكسر هذا المرض، وتبعده عن نفسك- أن تعمل الخيرات سرًا، فمن علاج مرض الرياء أن تصلي بالليل والناس نيام، تجتهد وتذهب تتصدق سراً، قال سبحانه: «وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ» (البقرة:٢٧١).

عليك أن تخلو بنفسك وتكثر من الاستغفار، فلا تجعل كل أفعالك الخيرة ظاهرة أمام الناس، اجعل لنفسك قسطا من الخير لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، اجعل لنفسك نصيباً من الخير لا يعلمه إلا خالقك سبحانه وتعالى، تتقرب به إلى الله عز وجل، وقد قال ابن القيم رحمه الله: إن الصالحين كانوا يحرصون على كتمان أحوالهم مع الله إلا في الحالات التي تستدعي أن يتأسى بهم الناس، وأنشد ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك أبيات شعر، فقال: من سارروه فأبدى السر مجتهداً لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا وأبعدوه فلم يظفر بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيحاشاً لا يأمنون مذيعاً بعض سرهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصدقة، فقال: عمر في نفسه ولم يقل لأحد من الناس: (إن الرسول صلى الله عليه وسلم حث الناس في هذه الليلة على الصدقة، ودائماً أبو بكر يسبقني فيتصدق، فلأتصدقنّ الليلة، فحمل نصف ماله ووضعه بين يدي رسول الله، فقال له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: مثله، ثم جاء أبو بكر بماله كله فقال له رسول الله: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله! فقال عمر: والله! لا أسابقك بعد اليوم أبداً يا أبا بكر).

إذا حصل لك نوع كرامة من الله فلا تحدث الناس على سبيل التعالي على أنك كريم عليهم، بل إذا حدثت تحدث بنعم الله عليك شاكراً لأنعمه سبحانه وتعالى.

مرض العجب وعلاجه

مرض الرياء أحد الأمراض التي تتسرب إلى القلب، ويلتحق به العجب فهو نظيره وسميه، فالعجب كذلك من أمراض القلب، ففي صحيح البخاري أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ركب برذوناً -والبرذون هو البغل- فمشى البرذون وعمر فوقه، والبغل يمشي ويهز الذي فوقه، فيحدث له نوع من أنواع الاختيال، فلما ركب عمر البرذون ومشى به مدة نزل من فوقه، قالوا له: لماذا نزلت يا أمير المؤمنين؟! قال: (أبعدوه عني، والله! ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي)، يعني: نفسي كانت قبل أن أركبه طيبة خفيفة، فلما ركبته تسرب العجب إليها، وإذا بالناس حولي كأنهم لا شيء، هذا حاصل كلام أمير المؤمنين عمر.

وإخواننا الأثرياء يشعرون بذلك! فأصحاب الأموال الكثيرة إذا ركب أحدهم سيارة (مرسيدس) يحس أن الناس حوله صعاليك! ويبدأ يظلم، كما قال عمر: أنكرت نفسي كأنها نفس أخرى، لكن إذا ركب حماراً أو ركب دراجة أحس أنه واحد مثل الناس، فيمشي زيد بين الناس وهو متواضع كما يتواضع الناس.

لهذا عليك أن تبعد عن نفسك أسباب العجب إذا وجدت شيئاً يجلب لك العجب ويذكيه في نفسك، فاتركه لله سبحانه وتعالى، وليس من باب التحريم، ولكن اتركه لله حتى يعوضك الله عز وجل خيراً منه إيماناً تجد حلاوته في قلبك.

تجد إخواننا جالسين في المجالس، فيبدأ التعارف: من الأخ؟ يقول: أخوكم فلان، الثاني يقول: أخوكم فلان، فيأتي واحد غلبه الشيطان، ويقول: أخوكم الدكتور فلان، هو أهلك نفسه قبل أن يهلك غيره، إذا

كان يقصد الدكتور من باب التعريف، فله نيته ولن يتسرب إن شاء الله شيء إلى قلبه، أما إذا قالها على سبيل التباهي في المجلس تتشبع نفسه بذلك الكبر، فيهلك نفسه؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر -أمثال النمل- يطؤهم الناس بأخفافهم) يأتي آخر: العقيد فلان! العميد فلان! أي عقيد وأي عميد وقد مات من هم خير منك آلاف المرات؟ أين أنت من ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، ومن فرعون ذي الأوتاد، ومن عاد إرم، ومن غيرهم من الأمم؟ فمثل هذا يجلب الكبر إلى الناس، تخيل أنه لو قال كلمة مثل هذه، وآخر مثله طبيب قال: أخوكم في الله -بانكسار- فلان بن فلان، لا شك أن الثاني سيزيده الله عز وجل تواضعاً ورفعة في الدارين ويحبه كل الجالسين، أما هذا الذي تعالى عليهم، فهل يقبل الجالسون تفاخره؟ ومن طبع البشر أنهم لا يحبون من تكبر عليهم وتجبر، ولكن يحبون من خفض لهم الجناح وألان لهم القول.

فمن أنواع العجب نوع كهذا، وعلاجه أن تكسر نفسك وتتواضع لله سبحانه وتعالى، تتواضع لله في أوصاف الفقراء، وفي أوصاف الضعفاء فلعلهم عند الله خير منك، ولا يخفى عليكم في هذا الباب حديث أبي بكر رضي الله عنه مع الأربعة الفقراء الغرباء، سلمان و صهيب و عمار و بلال، لما مر بهم أبو سفيان بن حرب عام الفتح، ورءوا أن أبا سفيان كان رئيساً للكفر، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال يمشي، ولم ينل من الأذى فقالوا الأربعة: والله! ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها - أي: فكان ينبغي أن يقتل مثل هذا الرجل- قال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لسيد قريش؟! ثم استدرك أبو بكر فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! بلال و صهيب و سلمان و عمار قالوا: كذا، فقلت لهم: كذا، فماذا قال له الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال: (يا أبا بكر! هل أغضبت إخوانك يا أبا بكر! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك عز وجل! فانطلق أبو بكر سيد شيوخ أهل الجنة إلى هؤلاء الأربعة، فقال: يا إخوتي! أغضبتكم؟ فقالوا: لا، يغفر الله لك).

فعلاج العجب التواضع، وخفض الجناح للمسلمين، ومجالسة المتواضعين، أما أن تجالس دائماً المتكبرين فستقتبس من أخلاقهم، ومن ثَم قال رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام: (شر الطعام طعام الوليمة) هذا الحديث فقه، لماذا شر الطعام طعام الوليمة؟ قال: (يدعى إليها الأغنياء، ويترك الفقراء)، فلمّا دعي إليها الأغنياء، وكلهم أغنياء يحصل التباهي والتفاخر ويحصل استقلال، يعني: مهما قدمت للأغنياء تسخطوا ما جئت به، لكن قد تدعو إلى وليمة عملتها واحداً من الفقراء الضعفاء فيخرج من عندك وقد أكل أكلة عمره ما أكلها في حياته، فيدعو لك دعوة تستفيد منها، فمجالسة الصالحين تجعلك تقتبس من أخلاقهم، هم يؤثرون في الطباع؛ لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في شأن الجوار والمجالسات، بل حتى مجالسات الدواب: (الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الإبل) والشاة أو الخروف دائماً تكون في الأرض، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (والسكينة والوقار في أهل الغنم) (الفخر والخيلاء في أهل الفدادين أهل الإبل) فلما كانوا مع الأنعام المستكبرة اقتبسوا من أخلاقها، ومن مشى مع الغنم المتواضعة اقتبس من أخلاقها، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما بعث الله من نبي إلا وقد رعى الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا رعيتها على قراريط لأهل مكة)، فلذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس تواضعا، وأرحم الناس بالناس عليهم الصلاة والسلام.

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله وقدر، والحمد لله رب العالمين.



حقائق عن اليهود

الحلقة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فقد تناولنا في العدد الماضي بعض صفات اليهود وأحوالهم وحديث القرآن والسنة عنهم، وأواصل في هذا العدد تذكير نفسي وإخواني الكرام ببعض الحقائق الهامة والثابتة عن اليهود، حتى نكون جميعًا على حذرٍ من خطرهم، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ صلاح نجيب الدق

(١١) اليهود أكثر الناس حسداً:

قال جلَّ شأنه: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة:١٠٩).

وقال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) (النساء:٥٤).

قال الإمامُ القرطبي (رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَمْ يَحْسُدُونَ) يَعْنِي الْيَهُودَ.(النَّاسَ) يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَاصَّةً.قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهد بن جبر وَغَيْرهمَا: حَسَدُوهُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَأَصْحَابَهُ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ. (تفسير القرطبي جـ٥ صـ٢٥٢).

روى ابنُ ماجه عن عَائِشَةَ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ». (صحيح ابن ماجه للألباني حديث:٦٩٧).

(١٣) يتسمون بالبخل:

قال الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) (النساء:٥٣).

قال الإمامُ ابن كثير (رحمه الله): يَقُولُ تَعَالَى: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ)؟! وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ. ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِالْبُخْلِ فَقَالَ: (فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) أَيْ: لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ لَمَا أَعْطَوْا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم شَيْئًا، وَلَا مَا يَمْلَأُ «النَّقِيرَ»، وَهُوَ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي النَّوَاةِ. (تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١١٩).

قال سُبحانه: (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (المائدة:٦٢).



قال الإمامُ ابن كثير (رحمه الله): أيْ: يُبادرُونَ إلى ذَلكَ منْ تعَاطي الْمَآثم وَالْمَحارم وَالاعْتداء عَلى النّاسِ، وَأكْلِهِمْ أمْوالَهُمْ بِالْباطِلِ. (تفسير ابن كثير جـ ٥ صـ ٢٧٥).

(١٤) اليهود قتلة الأنبياء:

قال جَلَّ شأنه: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ) (البقرة:٦١).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): هَذَا الَّذي جَازَيْنَاهُمْ منَ الذِّلَّة وَالْمَسْكَنَة، وَإحْلَال الْغَضَب بهمْ بِسَبَب اسْتكْبَارهِمْ عَن اتِّبَاع الْحَقِّ، وَكُفْرهمْ بآيَات الله، وَإهَانَتهمْ حَمَلَةَ الشَّرْع وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ، فَانْتَقَصُوهُمْ إلَى أنْ أفْضَى بِهِمُ الْحَالُ إلَى أنْ قَتَلُوهُمْ، فَلَا كِبْرَ أعْظَمَ منْ هَذَا، إنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله وَقَتَلُوا أنْبِيَاءَ الله بِغَيْرِ الْحَقِّ. (تفسير ابن كثير جـ١ صـ٤٢٩).

(١٥) اليهود يفضلون الشرك على التوحيد:

قال تعالى عن اليهود: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا) (النساء:٥١).

قال سُبحانه: (وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ) (الأعراف:١٣٨:١٤١).

(١٦) اليهود يتحايلون لتحليل المحرمات:

قال تعالى: (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ) (الأعراف:١٦٣:١٦٦).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): هَؤُلَاءِ قَوْمٌ احْتَالُوا عَلَى انْتهَاك مَحارم الله، بِمَا تَعَاطَوْا منَ الْأَسْبَاب الظَّاهرَة الَّتي مَعْنَاهَا في الْبَاطن تَعَاطي الْحَرَام.(تفسير ابن كثير جـ٦ صـ٤٢٣).

روى ابنُ بطة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ الله بِأَدْنَى الْحِيَلِ. (إسناده جيد) (تفسير ابن كثير جـ٦صـ٤٢٣) (إرواء الغليل للألباني جـ٥صـ٣٧٥).

ما حسدت اليهود أهل الإسلام على شيء مثل ما حسدتهم على السلام والتأمين.



(١٧) اليهود يستحلون الحرام:

قال سُبحانه: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء:١٦٠: ١٦١).

(١٨) اليهود أهل جدال عقيم:

قال سُبحانه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) (البقرة:٦٧: ٧١).

روى ابنُ جرير الطبري عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: «لَوْ أَخَذُوا أَدْنَى بَقَرَةٍ اكْتَفَوْا بِهَا لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّه عَلَيْهِمْ» (تفسير الطبري جـ٢صـ٢٠٤).

(١٩) قلوب اليهود أشد قسوة من الحجارة:

قال جَلَّ شأنه: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) (المائدة:١٣).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله):



قَوْلُهُ تَعَالَى(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) أَيْ: فَبِسَبَبِ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ لَعَنَّاهُمْ، أَيْ أَبْعَدْنَاهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَطَرَدْنَاهُمْ عَنِ الْهُدَى، (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)أَيْ: فَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ لِغِلَظِهَا وَقَسَاوَتِهَا. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ: ١٣٤).

(٢٠) لم يؤمن أحد من علماء اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في زمانه إلا واحد فقط.

عُلماءُ اليهود من أكثر الناس كُفراً وعناداً، في كل مكانٍ وزمانٍ، ودليلُ ذلك أنه لم يُؤمن أحدٌ منهم ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم عند ظهوره وهجرته إلى المدينة إلا وحداً فقط وهو عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، مع من أنهم يعلمون يقيناً من كتبهم الموجودة بين أيديهم، صفة النبي صلى الله عليه وسلم وزمان ومكان ظهوره.

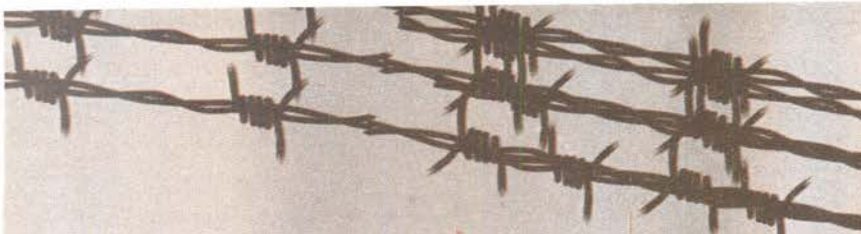
لم يؤمن من علماء اليهود أحد ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلا واحد فقط وهو عبدالله بن سلام رضي الله عنه .



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَآمَنَ بِي الْيَهُودُ» (البخاري حديث: ٣٩٤١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ». (مسلم حديث: ٢٧٩٣).

قال الإمامُ النووي (رحمه الله) قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم(عَشْرَةٌ





حقائق عن اليهود

مِنَ الْيَهُود) قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: الْمُرَادُ عَشَرَةٌ مِنْ أَحْبَارِهِمْ(أي عُلَمَائِهِم). (مسلم بشرح النووي جـ٩صـ١٥٠).

عَنْ أَنَسِ بنِ مالك قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلاَمٍ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ (كذابون)، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّه فِيكُمْ». قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلاَمٍ». فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّه مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّه فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّه. (البخاري حديث: ٤٤٨٠).

(٢١) الله تعالى مسخ بعض اليهود فجعلهم قردة وخنازير:

قال سُبحانه: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (البقرة:٦٥).

قال الإمامُ ابنُ جرير الطبري(رحمه الله): مَسَخَهُمُ اللهُ قِرَدَةً بِمَعْصِيَتِهِمْ، وَلَمْ يَحْيَوْا فِي الأَرْضِ إِلاَّ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ تَأْكُلْ، وَلَمْ تَشْرَبْ، وَلَمْ تَنْسِلْ. (تفسير الطبري جـ٢صـ١٦٨).

وقال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة:٦٠).

(٢٢) اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين:

قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة:٨٢).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) مَا ذَاكَ إِلَّا لأَنَّ كُفْرَ الْيَهُودِ عِنَادٌ وَجُحُودٌ وَمُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ، وَغَمْطٌ لِلنَّاسِ وَتَنَقُّص بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ. وَلِهَذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَسَحَرُوهُ، وَأَلَّبُوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ٣١١).

> **اليهود قتلة الأنبياء وقد هموا بقتل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم غير مرة وسحروه وألبوا عليه أشباههم.**

(٢٣) اليهود أكثر الناس صداً عن سبيل الله:

قال سُبحانه: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) (النساء:١٦٠).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) أَيْ: صَدُّوا النَّاسَ وَصَدُّوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَهَذِهِ سَجِيَّةٌ لَهُمْ مُتَّصِفُونَ بِهَا مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ؛ وَلِهَذَا كَانُوا أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وكذبوا عِيسَى وَمُحَمَّدًا، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمَا. (تفسير ابن كثير جـ٤صـ٣٦٨).



وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.



منزلة السنة من القرآن الكريم

إعداد/ المستشار / أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وأصحابه الشرفا، وبعد....

فقد اشتدت وتيرة الحملة الشرسة على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى حامليها، من الصحابة ومن تبعهم بإحسان حتى اليوم، وزعم كثير من الأفاكين المغرضين أنه يجب طرح السنة جانبا، وعدم التعويل عليها، والاكتفاء بالقرآن الكريم ففيه الغنية، مستدلين بقوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام ٣٨) وفي هذه المقالة نستعرض - بمشيئة الله تعالى - منزلة السنة من القرآن، ليعلم القاصي والداني حاجة المسلمين لسنة النبي الأمين، فقد بين الأصوليون، أن منزلة السنة من القرآن الكريم على ثلاث مراتب هي:

أولاً: السنة المقررة والمؤكدة والمؤيدة لما ورد في القرآن الكريم:

القرآن الكريم اشتمل على أركان الإيمان، وأركان الإسلام، وغيرهما، فتأتي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرر ذلك وتؤكده، والحكمة من ذلك ليعلم الناس أنهما من عند الله سبحانه وتعالى، فلفظ القرآن ومعناه، من عند الله، ومعنى السنة من عند الله، ولفظها من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فكل ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التشريع وحى من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى× إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» (النجم ٣- ٤).

فمثال أركان الإيمان: قوله تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥).

وقد قررت وأكدت السنة ذلك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجاء وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإيمان ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال:

صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه..» (رواه مسلم).

ومثال أركان الإسلام: أ - قوله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف» (النساء ١٩) وقد جاءت السنة لتؤيد ذلك وتقرره، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، فقال: «اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». (رواه مسلم).

ب - وقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ» (النساء ٢٩) وقد جاءت السنة لتؤيد ذلك وتؤكده، فعن حنيفة عم أبي حرة الرقاشي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مُسلم إلَّا بطيب نفس منهُ» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

ثانيًا: السنة المبينة للقرآن:

قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل ٤٤) فقد أنزل الله السنة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليبين لأمته ما جاء بالقرآن، وتنقسم السنة المبينة إلى الأقسام الآتية:-

١- السنة المفصّلة لما أُجمل في القرآن:-

جاءت السنة النبوية مفصلة ومبيِّنة للأحكام المجملة في آيات عديدة من القرآن الكريم؛ واللفظ (المجمل) هو ما لم تتضح دلالته، والمراد ما كان له دلالة في الأصل، ولم تتضح، ويكون التفصيل ببيان كيفيات العمل أو أسبابه أو شروطه أو موانعه أو لواحقه وما أشبه ذلك؛ كبيانها للصلوات على اختلافها في أنواع مواقيتها، وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وبيانها للزكاة في مقاديرها ونُصب الأموال وتعيين ما يزكى مما لا يزكى، وبيان أحكام الصوم وما فيه، مما لم يقع النص عليه في الكتاب العزيز.

ومن أمثلة تفصيل السنة لمجمل القرآن الآتي:

أ - قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ» (البقرة: ٤٣) جاء مجملا دون أن يبين عدد الصلوات وأوقاتها وأركانها وواجباتها وسننها، ولو لم تبين السنة كل ذلك، لما استطاع مسلم أن يصلى، أو لصلى كل مسلم على هواه، فكان لابد من توحيد الأمة في صلاتها، فتكفلت السنة ببيان ذلك، فقد علم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، وعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: «أتَينا النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، ونحن شَبَبَةٌ مُتَقاربون، فأقَمْنا عندَهُ عشرين يومًا وليلةً، فظنَّ أنا اشْتَقْنا أهْلَنا، وسَألَنا عمَّنْ تَرَكْنا في أهْلِنا، فأخبَرناه، وكان رَقيقًا رَحيمًا، فقال: (ارْجِعوا إلى أهليكم، فعَلِّموهم ومُروهم، وصَلُّوا كما رأيتُموني أُصَلِّي، وإذا حضرَتِ الصلاةُ، فلْيُؤَذِّنْ لكم أحَدُكم، و لْيَؤُمَّكم أكبَرُكم» (رواه البخاري).

ب - قوله تعالى «وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» (آل عمران ٩٧) فالآية جاءت مجملة دون تفصيل أركان وواجبات وسنن الحج، ولو لم تبين السنة ذلك، لتفرقت الأمة في الإتيان بهذا النسك العظيم، كل يأتي به على ما يشتهيه، فتكفلت السنة ببيان ذلك، فقد علم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم الحج، وعلمه النبي لأمته، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (رواه مسلم).

٢- السنة المخصصة لعام القرآن:

جاءت السنة النبوية مخصصة ومقيدة للأحكام العامة في آيات عديدة من القرآن الكريم، والمقصود باللفظ العام: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له، أي يستغرق جميع الأفراد التي يصدق عليها معناه، من غير حصر كمّي ولا عددي. (محبة السنة النبوية، لعبد الغني عبد الخالق).

وصيغة الألفاظ العربية التي تفيد الشمول والاستغراق والعموم كثيرة، نذكر منها: ألفاظ (كل)، و(جميع)، و(كافة)، والمعرف بـ (آل) التي ليست للعهد، والنكرة في سياق النفي، أو النهي، و(الذي) و(التي) وفروعهما، وأسماء الشرط، والمضاف إلى جمع، والمفرد المضاف. ولا خلاف بين العلماء أن السنة إذا كانت متواترة يجوز تخصيص

القرآن بها، وأما إذا كانت السنة من أخبار الآحاد فمذهب الأئمة الأربعة إلى جوازه، وهو المختار عند العلماء المحققين.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: «يُوصيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» (النساء: ١١) فقد تم تخصيصه، بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرث القاتل» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر» (متفق عليه) فهذان الحديثان يحرمان القاتل وغير المسلم من الميراث، فلو لم تخصص السنة عموم الآية، لتفشي القتل بين المسلمين، فهذا يقتل أباه استعجالاً للإرث، ثم يطالب بحقه في تركة أبيه بزعم دخوله تحت قوله تعالى «يوصيكم الله في أولادكم» وهو من أولاد المورث، فجاءت السنة لتحرم القاتل من الإرث وتسد عليه ذلك الباب، وحرمانه عقابا له بنقيض مقصوده، فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، كما حرمت الكافر من إرث المسلم، والعكس.

٣- السنة المقيدة لمطلق القرآن الكريم:

جاءت السنة النبوية مفصّلة وموضحة لآيات عديدة من القرآن الكريم ؛ ومن ذلك تقييد بعض مطلق القرآن، واللفظ (المطلق) هو ما دَلّ على شائع في جنسه، أو هو اللفظ الدال على فرد أو أفراد غير معينة، ودون أي قيد لفظي، مثل: رجل، ورجال، وكتاب، ورقبة، وهو ورود النكرة في صيغة الإثبات، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ» (النساء: ١١) فلفظ الوصية الوارد في الآية مطلق غير مقيد بمقدار معين، فلو تم الاكتفاء بالقرآن، لوصى المسلم بكل ماله، بما يعود بالضرر على ورثته، فجاءت السنة لترفع عنهم هذا الضرر، فبينت السنة النبوية أن مقدار الوصية هو الثلث أو أقل، فلا يجوز إخراج الوصية بأكثر من ثلث المال الذي تركه الميت، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «عادني رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ. في حجة الوداعِ، من وجعٍ أشفيتُ منهُ على الموت. فقلتُ: يا رسولَ الله! بلغني ما ترى من الوجعِ. وأنا ذو مال. ولا يرثني إلا ابنةٌ لي واحدةٌ. أفأتصدقُ بثلثَيْ مالي؟ قال (لا) قلتُ: أفأتصدقُ بشطره؟ قال (لا. الثلثُ. والثلثُ كثيرٌ. إنك إن تذَرَ ورثتَكَ أغنياءَ، خيرٌ من أن تذَرَهم عالةً يتكففون الناسَ. (رواه مسلم).

٤- السنة الموضحة لمشكل القرآن:

جاءت السنة النبوية مُوضِّحة لمُشكل القرآن، ومفسرة لآيات عديدة منه، واللفظ (المشكل) هو: « اللفظ الذي خفيت دلالته على معناه، لسبب في نفس اللفظ »، فلا يمكن أن يدرك معناه إلا بقرينة تبين المراد منه، وانما يعرف المُشكل بسؤال الصحابة عنه ؛ لأن السؤال لا يقع إلا بعد استشكال أو عدم وضوح في الغالب.

ومن أمثلة ذلك: توضيح المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود في وقت الإمساك في الصوم، قال تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (البقرة: ١٨٧)، حيث إن الخيط الأبيض والخيط الأسود من المشكل الذي لا يُفهم المراد منه إلا بقرينة، ولو لم توضحه السنة لحار الناس في معنى ذلك، والمقصود منه ولبطل صوم الكثير منهم، فجاءت السنة بتوضيح هذا المشكل بأنه (بياض النهار وسواد الليل)، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «لما نزلت تلك الآية قلت: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالاً أبيض وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن وسادك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار) (متفق عليه) وهذا لفظ مسلم.

٥- هل السنة تنسخ القرآن؟

وهذا الوجه من وجوه يصح عند القائلين بأن السنة والقرآن في المرتبة سواء، ويمكن للسنة أن تنسخ القرآن. وهذا مذهب الحنفية والمالكية وابن حزم، أما الشافعية فلا يمكن للسنة أن تنسخ القرآن عندهم، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ» (البقرة ١٨٠)، فقد

نسخت الوصية للوالدين بآيات المواريث، ونسخت السنة الوصية للوارث فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «سمعتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يقولُ في خُطبتِه عامَ حجَّةِ الوداعِ إنَّ اللهَ قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، فلا وصيَّةَ لوارثٍ» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني) فلو لم تنسخ السنة الوصية لوارث، لدب الشقاق بين الورثة، وفشا فيهم الغل والحقد، فهذا يوصى لابنته بشيء من التركة، وتشارك إخوانها وأخواتها في الإرث بما يجعل نصيبها من التركة أكبر بكثير منهم، فتثور المشكلات، وتقطع الأرحام، فجاءت السنة لتئد تلك الفتن في مهدها بمنع الوصية للوارث.

ثالثا: السنة النبوية المستقلة بتشريع الأحكام

فقد أوجب الله على المسلمين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به فقال تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (الحشر ٧) وعموم الآية يشمل كل ما أتى به من قرآن، وسنة فمن العجب العجاب، أن ترى مسلما يصدق النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤمن بأنه مرسل من ربه، فيصدقه فيما جاء به من القرآن، فيقبله، ويكذبه فيما جاء به من السنة، فيردها، ورده لها ينقض تصديقه للنبي وايمانه برسالته، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سلوك هذا المسلك، فعن المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معهُ، ألا يُوشِكُ رجُلٌ شبعانٌ على أريكتِه يقولُ عليكُم بهذا القُرآنِ فما وجدتُم فيهِ من حَلالٍ فأحلُّوه وما وجدتُم فيهِ من حرامٍ فحرِّمُوه، ألا لا يحلُّ لكُم لحمُ الحمارِ الأهليِّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السَّبُعِ، ولا لُقَطةُ معاهَدٍ، إلَّا أن يستغْنيَ عنها صاحبُها، ومَن نزل بقومٍ فعليهِم أن يَقْرُوه، فإن لَم يَقْرُوه فله أن يُعْقِبَهُمْ بمثلِ قِراه» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

فوجب الأخذ بما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شرعت السنة العديد من التشريعات الدائرة مع الأحكام الخمسة، ومن أمثلة ذلك:

١- الوجوب:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فرضَ زكاةَ الفطرِ من رمضانَ على كلِّ نفسٍ من المسلمينَ، حرٍّ أو عبدٍ. أو رجلٍ أو امرأةٍ. صغيرٍ أو كبيرٍ. صاعًا من تمرٍ أو صاعًا من شعيرٍ» (رواه مسلم).

٢- الحرمة:

أ - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن كلِّ ذي نابٍ من السِّباعِ. وعن كلِّ ذي مخلَبٍ من الطيرِ» (رواه مسلم) فلو لم تحرم السنة ذلك لاستحل الناس أكل الكلاب، فلا يوجد في القرآن ما يحرم أكلها.

ب - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أن تُنكحَ المرأةُ على عمَّتِها أو خالتِها. أو أن تسألَ المرأةُ طلاقَ أختِها لتكتفئَ ما في صَحْفتِها فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ رازقُها.» (رواه مسلم) ولولا هذا الحديث لاستحل الناس الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، لعدم تحريم القرآن ذلك، فجاءت السنة فحرمت ذلك.

٣- الاستحباب:-

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أنْ أشقَّ على أمَّتي لأمَرْتُهم بالسواكِ مَعَ كُلِّ وضوءٍ.» (رواه ابن خزيمة وصححه الألباني) وفي رواية «لولا أن أشقَّ على أمَّتي لأمرتُهم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صلاةٍ» (رواه النسائي وصححه الألباني).

٤- الكراهة:

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ «نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا». صحيح البخاري ١٢١٩.

٥- الإباحة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحلَّت لكُم ميتتانِ ودَمانِ، فأمَّا الميتَتانِ، فالحوتُ والجرادُ، وأمَّا الدَّمانِ، فالكبِدُ والطِّحالُ» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني) فلو لم تأت السنة بهذا الحكم لما علم الناس حل أكل الجراد، والكبد والطحال.

وأخيرا فعلى كل مسلم أن يحرص على سنة نبيه، فيتمسك بها ويعمل بما جاء بها، ويجتهد أن يعلمها غيره قدر طاقته، والله الموفق.

النفس المتسامحة.. عطاء بلا حدود



إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن النفس المؤمنة المتسامحة من أصفى النفوس وأسعدها، تحمل روحًا محبة للخير، تبذل الإحسان للخلق، بين جوانحها قلبٌ يحب السعادة للآخرين، ويرجو الخير لكل المسلمين، يتألم لآلام إخوانه، ويسعد بفرحهم، ويتمنى التوفيق للجميع، يتبسم في وجوه الخلق، لا يبخل عليهم بماله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، يحنو على اليتيم، ويخاف الله في الأرملة والمسكين، وعد الله جل وعلا صاحب هذه النفس أن يكون من أهل الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه في الحديث القدسي، عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، قال: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» (مسلم ٢٨٦٥).

فما أعظمها نفس تسعى في منافع الناس، يفرح عندما يوسع الله على إخوانه، ويسعد عندما تمتد يده بالعطاء، ويهنأ عندما يطعم مسكينًا، أو يكسو فقيرًا، يبذل الإحسان لا يرجو بذلك إلا وجه الله، مستحضرًا قوله تعالى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩).

وهذه النفس هي التي يُقابَل صاحبها بالإحسان يوم القيامة، فـ«هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (الرحمن: ٦٠)، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» (متفق عليه).

أعظم مثال للتسامح البشري:

يحلو لكثير من المنهزمين نفسيًا أن ينظر لبعض الحكم المنقولة عن النصارى ويذكر مواعظهم في العفو، رغبة في وجود تلك النفسية المتسامحة، التي يظنون أنهم تفردوا بها، وتميزوا عن غيرهم، وهذا ليس بصحيح؛ فهم لم يقرءوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفوه، ولو عرفوه لعلموا عظيم تسامحه، وصفاء نفسه صلى الله عليه وسلم.

فها هو عبد الله بن أبي رأس النفاق، يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فينخذل عنه بثلث الجيش يوم أحد ويرجع بهم إلى المدينة، ويرمي أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، حتى قال: «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (المنافقون: ٨)، ومع كل هذا الإيذاء والعداء الظاهر والخفي، رفض قتله، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْهُ! لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) (متفق عليه).

بل العجب في تسامح النبي صلى عليه وسلم عند موته، فقد بذل ثوبه ليكون كفنًا له، وصلى عليه، واستغفر له، ونزل قبره وهو من؟ من ناصبه العداء، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ

لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ، فَقَالَ: آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ، فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى المُنَافِقِينَ، فَقَالَ: أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ قَالَ «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» فَصَلَّى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» (البخاري ١٢٦٩).

وإن الإنسان ليتملكه العجب، وتأخذه الدهشة من هذا التسامح العجيب، ونسيان الإساءة، وبذل الخير، عند من لا يستحقون إلا الجفاء والمقاطعة، بل وما هو أشد من ذلك!!

وشيء آخر من تسامحه صلى الله عليه وسلم، ونفسه المحبة للناس وهدايتهم، فقد كان الصحابي مخرمة رجلاً في خُلقه شدة، ولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغضبه، بل يعامله بشيء فيه عطف وحنو بالغ، وكان رجلاً كفيف البصر، سمع بقدوم أثواب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف عامله النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أرضاه، وهذا ليس بواجب عليه، بل يعلمنا كيف تكون النفس المتسامحة وكيف تعطي الجميع وبلا حدود، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ أَقْبِيَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ، فَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ عَلَى البَابِ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ، فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا المِسْوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ! يَا أَبَا المِسْوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شِدَّةٌ. (البخاري ٣١٢٧) وفي بعض الروايات صار يعرض عليه محاسن هذا الثوب، حتى رضي مخرمة، وكل هذا ليس بفرض ولا واجب، ولكنها النفس العظيمة، المحبة لهداية الخلق، الرحيمة بهم، صلى الله عليه وسلم.

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، -قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا- قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا، وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسُنِيهَا. فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ» (البخاري ٢٠٩٣) فهذا مثال رائع للنفس الكريمة المحبة للآخرين، تعطي الثوب للغير وهي محتاجة إليه، وفي هذا الحديث منهجه أنه كان لا يرد سائلاً، نفس عظيمة ما أروعها! صلى الله عليه وسلم.

وعلى ذات الدرب سار أبو بكر الصديق، فسامح مسطح وعفا عمن آذوه، فرضي الله عن الصديق أبي بكر.

موقف الإمام أحمد ممن آذوه:

وعلى خطى النبي صلى الله عليه وسلم مضى الصحابة والتابعون يسامحون ويعفون ويحسنون، وممن سار على هديهم في التسامح: الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل، رحمه الله ورضي عنه، فقد سامح من آذوه في المحنة، قال الإمام الذهبي رحمه الله في مناقب الإمام أحمد: (وعن عبد الله بن أحمد قال: وسمعت أبي يقول: لقد جعلت الميت في حل من ضربه إياي.. ثم قال: وما على رجل أن لا يُعذب الله بسببه أحدًا). (سير أعلام النبلاء ١١/٢٥٧).

وكان يقول: (كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعًا - يعني ابن أبي دواد-، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني: المعتصم - في حل.. ثم قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يُعذب الله أخاك المسلم في سببك). (سير أعلام النبلاء ١١/٢٦١).

وقال له إسحاق بن إبراهيم: اجعلني في حلٍّ من حضوري ضربك. فقلت: قد جعلت كل من حضرني في حل. (سير أعلام النبلاء ١١/٢٦٦).

ولما أمر الواثق بقطع قيود الإمام أحمد، فلما قطع، ضرب بيده إلى القيد ليأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: لم أخذته؟ قال: لأني نويت أن أوصي أن يُجعل في كفني حتى أخاصم به هذا الظالم غدًا. وبكى، فبكى الواثق وبكينا. ثم سأله الواثق أن يجعله في حل، فقال: لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ لكونك من أهله.

فقال له: أقم قبلنا فننتفع بك، وتنتفع بنا، قال: إن ردك إياي إلى موضعي أنفع لك، أصير إلى أهلي وولدي، فأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك، قال: فتقبل منا صلة؟ قال: لا تحل لي، أنا

عنها غني. (سير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٥). رحم الله هذا الإمام الكبير، فما كانت أعظم نفسه المتسامحة، ورضي عنه.

موقف ابن تيمية مع خصومه:

عاش ابن تيمية -رحمه الله- يحمل النفس المتسامحة، ولذلك كان يشعر بالطمأنينة والسعادة، مع ما كان يعيش فيه من صعوبات كثيرة، يقول تلميذه ابن القيم -رحمه الله-: «وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدهما، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها».

ويضيف ابن القيم رحمه الله: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع بي أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه الأخير في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكري هذه النعمة. أو قال ما جزيتهم عني ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله، وقال لي مرة: «المحبوس من حُبس قلبه من ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه». ولما أدخل إلى سجن القلعة، وصار داخل السور نظر إليه، وقال: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ» (الحديد: ١٣).

قال ابن القيم رحمه الله: وحدثني بعض أقارب شيخ الإسلام رحمه الله قال: كان في بداية أمره يخرج أحيانا إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يومًا فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وأَخْرُجُ مِن بينِ البيوتِ لَعَلَّني
أُحَدِّثُ عَنْكِ النفسَ بالسرِّ خاليًا

(الوابل الصيب ص ٩٣ و٩٤).

وقد وضع ابن تيمية قاعدة للتسامح في حياته السلوكية والعملية، تتلخص هذه القاعدة في قوله: (أحللت كل مسلم عن إيذائه لي) وتفصيلها ما جاء في مجموع الفتاوى قال: (فَلَا أُحِبُّ أَنْ يُنْتَصَرَ مِنْ أَحَد بِسَبَبِ كَذِبه عَلَيَّ أَوْ ظُلْمه وَعُدْوَانه؛ فَإِنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ كُلَّ مُسْلِم، وَأَنَا أُحِبُّ الْخَيْرَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِن مِنْ الْخَيْرِ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي، وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِل مِنْ جِهَتِي) (مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٥).

أمثلة من تسامح شيخ الإسلام ابن تيمية:

١- كان الشيخ الصوفي البكري من أشد الصوفية على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنة الشيخ مع الصوفية سنة ٧٠٧هـ حول قضية الاستغاثة طالب بعضهم بتعزير شيخ الإسلام، إلا أن الشيخ البكري طالب بقتله وسفك دمه!

وفي سنة ٧١١هـ تجمهر بعض الغوغاء من الصوفية بزعامة الشيخ البكري وتابعوا شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفردوا به وضربوه، وفي حادثة أخرى تفرد البكري بابن تيمية ووثب عليه ونتش أطواقه وطيلسانه، وبالغ في إيذاء ابن تيمية!

وحينما تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته، وأن يشير عليهم بما يراه مناسبًا للانتقام من خصمه البكري الصوفي؛ أجابهم شيخ الإسلام بما يلي: (أنا ما أنتصر لنفسي)!!

ولما اشتد طلب الدولة للبكري وضاقت عليه الأرض بما رحبت هرب واختفى في بيت ابن تيمية وعند شيخ الإسلام لما كان مقيمًا في مصر، حتى شفع فيه ابن تيمية عن السلطان وعفا عنه!! (العقود الدرية ٣٠٥/١).

فهذا مثال من تسامح هذا الإنسان العظيم، فالبكري قابله بالظلم والتكفير والاعتداء والعدوان والبهتان، وابن تيمية قابله بالعفو والإحسان والكرم، إن في ذلك آية عظيمة لكل منصف سليم القلب.

٢- ومرة أخرى يجتمع على شيخ الإسلام بعض الفقهاء والقضاة بمصر والشام، وحملوا عليه حملة سيئة، فأفحم الجميع بالحق، وألزمهم الحجج، فلما أفلسوا وشوا به إلى الحكام. وبعد أن وشى به بعض العلماء وكذبوا عليه وألبوا الحكام والأمراء عليه وتزلفوا

لدى الكبراء في ابن تيمية؛ سُجن وعذب، وتولى كبر ذلك الجرم الشيخ الصوفي نصر المنبجي، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير تلميذ المنبجي، وجماعة من الفقهاء والعلماء، الذين ناصروا الحاكم بيبرس في انقلابه ضد السلطان ناصر بن قلاوون.

ولكن شاء الله أن تزول إمارة بيبرس ويضم السلطان ناصر بن قلاوون دمشق ومصر إلى حكمه، ولم يكن همّ السلطان إلا الإفراج عن شيخ الإسلام المسجون ظلما وزورًا. فأخرجه معززًا مكرمًا مبجلاً، ويصل الشيخ إلى البلاط الملكي فيقوم له السلطان تكريمًا واحترامًا ويضع يده بيد ابن تيمية ويدخلان على كبار علماء مصر والشام...!

ويختلي السلطان ناصر بن قلاوون بشيخ الإسلام ابن تيمية ويحدثه عن رغبته في قتل بعض العلماء والقضاة بسبب ما عملوه ضد السلطان، وما أخرجه بعضهم من فتاوى بعزل السلطان ومبايعة بيبرس، وأخذ السلطان يحث ابن تيمية على إصدار فتوى بجواز قتل هؤلاء العلماء، ويذكره بأن هؤلاء العلماء هم الذين سجنوه وظلموه واضطهدوه، وأنها حانت الساعة للانتقام منهم! وأصر السلطان ناصر بن قلاوون على طلبه من شيخ الإسلام كي يخرج فتاوى في جواز قتلهم!

فقام ابن تيمية بتعظيم هؤلاء العلماء والقضاة، وأنكر أن يُنال أحد منهم بسوء، وأخذ يمدحهم ويثني عليهم أمام السلطان وشفع لهم بالعفو والصفح عنهم ومنعه من قتلهم، فقال للسلطان: (إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم من العلماء الأفاضل!) فيرد عليه السلطان متعجبا متحيرًا: لكنهم آذوك وأرادوا قتلك مرارًا؟! فقال ابن تيمية: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي! وما زال ابن تيمية بالسلطان يقنعه أن يعفو عنهم ويصفح، حتى استجاب له السلطان فأصدر عفوه عنهم وخلى سبيلهم!! (موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١/ ١٦٠).

٣- لقد شهد له كبير خصومه ومن الذين هاجموه وآذوه، شهد له بعد عمله التسامحي الفريد الذي عمله معهم أثناء غضب السلطان ناصر بن قلاوون عليهم، لقد كان قاضي المالكية القاضي ابن مخلوف أحدهم ولما أفرج عنه قال عن ابن تيمية: (ما رأيت كريمًا واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا)... هذا هو ابن تيمية، هذه هي أخلاقه مع خصومه! (شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد فريد ١/ ١٧).

٤- ولم يكتف شيخ الإسلام بالإحسان إلى خصومه في حياتهم بل بعد مماتهم، يقول ابن القيم: (وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال -يعني خصال الفتوة- من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه) (مدارج السالكين جـ٢/ ٣٤٥).

وسبحان الله، من هذا التسامح وهذا العطاء والإحسان، يقول ابن تيمية معبرًا عن نفسيته المتسامحة: (وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كل خير، وابن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله له، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزيمتي، مع علمي بجميع الأمور فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عونًا للشيطان على إخواني المسلمين) (مجموع الفتاوى ٣/ ٢٧١).

إن التسامح عندما يستحكم في النفس تعتاد الإحسان في كل الأمور، في العبادات والمعاملات، في صغائر الأمور وعظائمها، فيحسن المرء في عبادة ربه، ومعاملة خلق الله، فيحسن إلى الوالدين، والزوجة والبنات، والإخوة والأخوات، والجيران والأصدقاء، بل قد يصل به الإحسان إلى من يبغضه، فيقابل إساءته بالإحسان، ويمتد الإحسان ليشمل الحيوان والنبات فـ(في كل ذي كبد رطبة أجر) (متفق عليه)، وهذه مرتبة عظيمة في دين الله. نسأل الله أن يرزقنا التسامح والإحسان في أعمالنا وأخلاقنا، والإخلاص في الأقوال والأعمال، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

من أخبار الجماعة

إنه في يوم السبت ١٥ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥/٤/٤م عقب صلاة الظهر انعقدت الجمعية العمومية العادية بالمركز العام، برئاسة الدكتور/ عبد الله شاكر الجنيدي، وأمانة الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام ، وذلك لمناقشة ميزانية ٢٠١٤م، واختيار خمسة أعضاء لمجلس الإدارة بعد الإسقاط الثلثي.

وقد تم -بفضل الله تعالى- اعتماد الميزانية العمومية لعام ٢٠١٤م واختيار مجلس الإدارة على النحو التالي:

١ - د/ عبد الله شاكر الجنيدي	رئيسًا عامًا للجماعة
٢ - د/ عبد العظيم بدوي محمد	نائبًا للرئيس العام، ورئيسًا لمجلس العلماء ، ومشرفًا عامًا على المجلة
٣ - د . مرزوق محمد مرزوق	أمينًا عامًا للجماعة
٤ - الشيخ/ محمد عاطف التاجوري	أمينًا للصندوق ومديراً لإدارة المشروعات
٥ - الشيخ/ فتحي أمين عثمان	مديرًا لإدارة التراث والمكتبات
٦ - الشيخ أبو العطا عبد القادر محمود	مديرًا لإدارة شئون العاملين والأمن
٧ - الشيخ/ معاوية محمد هيكل	مديرًا لإدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي
٨ - الشيخ: أحمد عز الدين	مديرًا لإدارة الفروع
٩ - الشيخ/ أيمن إبراهيم خليل	مديرًا للشئون القانونية والأملاك
١٠ - الشيخ/ جمال عبد الرحمن إسماعيل	مديرًا لإدارة التخطيط والمتابعة
١١ - الشيخ: محمد عبدالعزيز	مديرًا لإدارة الدعوة
١٢ - الشيخ/ إبراهيم محمد سليمان	مديرًا لإدارة البحث العلمي
١٣ - الشيخ : أحمد يوسف	مديرًا للعلاقات العامة
١٤ - الشيخ/ مصطفى محمد علي البصراتي	مديرًا لشئون القرآن
١٥ -الشيخ: محمد رزق ساطور	

نسأل الله التوفيق والسداد للجميع